

نسيم نصر

# هـذه اللغـة ...

بقلم نسيـم نصـر

* * *

منذ ان راجت سوق المعرفة وامتدت فوق الشرق العربي افاق العلم الحديث ، اخذت الحاجة الى مرافقة التطور الحضاري العارم ، تلح على بلدان هذا الشرق ان يجعلوا من لغتهم اداة طيعة للتعبير عن مختلف جوانب الحياة الحديثة ، وان يعودوا بها من متاهاتها الحرفية الى جواد الكلمة المعبرة في امانة ويسر ووضوح .

وفي سبيل هذا التجديد الذي لا بد منه كانت طلائع المحاولات والاراء في فجر الانبعاث شغلا شاغلا بعض كبار اللغويين من امثال احمد فارس الشدياق والشيخ ابرهيم اليازجي ، والتي ما تزال قائمة ، في قلب هذه النهضة الحديثة ، على همة بعض المتفقهين في فلسفة اوضاع اللغة العربية وقواعدها ، من امثال العلامة الشيخ عبد الله العلايلي والدكتور انيس فريحه والمحامي يوسف السودا والشاعر سعيد عقل وغيرهم ممن الفوا في هذا السبيل . ولكن جديد هؤلاء المؤلفين الكبار ، على ما فيه من خصب وتوليد وبث حياة ، يبقى ملكا للمطالع والناظر الى هذه اللغة في غير مسؤولية طالب او مسؤول عن درس . بينما تستمر حاجة المدرسة الحديثة الى كتاب القواعد الحديث قائمة لم يظهر فيها حتى اليوم ، ما يفي بحاجتها لمواكبة اللغات الراقية في طريق التطور والنمو والعطاء .

فالى ان يتوفر للغة العربية مجمع لغوي او ما هو من نوعه يكفل لها تشذيب قواعدها ، بعد ان اصبحت هذه القواعد شجرة قديمة الزمان تنتظر مقص بستاني حكيم عليم ، الى ذلك الحين يجب ان يكون لها من العلم الحديث ضمانة تؤمن لها بقاءها في مستوى اللغات الحيه الراقية .

ولعل اول ما تفتقده هذه اللغة ، في معلم قواعدها، ان يكون هو نفسه غير مبتلى بمركب النقص الناتج عن تشعب المذاهب والاجتهادات وكثرة السماع والخروج على القياس او عنه في هده القواعد .

ومتى برىء المعلم من هذا الداء انفتحت امامه سبل المعرفة بالاهم وبالمتن من هذه القواعد . ومتى عرف ذلك استطاع ، هو وحده ، ان يستبعد ما لا يغني وان يبقي ما لا غنى عنه . فاذا انكشفت لك دروب هذه المعرفة ، يا اخي المعلم ، فاعتمد لها اطمئنانة الواعي مهمته نفسيا ومعرفيا ، فالطالب يقرا في لهجة معلمه ونبرات صوته اكثر مما يقرا في حروف كلماته .

فعليك اذن ، انت ، المعلم الحديث ، ان تستحدث لنفسك لغة طيعة وكلمة حية ، مستبعدا المكوك العتيق من التحاديد التي لا تعني من التحديد ، في معناه الثابت ، شيئا كثيرا ، مستبدلا الامثال على هذه التحاديد الباقية كانها متحجرات من مخلفات ازمنه لم يكن « للمتفذلكين » فيها من عمل يصرفهم عن « عبقرية » اللف والدوران حول القاعدة المحنطة .

ولا احب ان ادخل في عرض هذا الزوغان عن متن القواعد الى الهوامش والسماع ، بل اعتمد هذا القول المختصر المغني عن المطول الذي يقال في هذا الصدد :

« المعلم هو الكتاب الحي اجمالا . وهو قاعدة القاعدة في تدريس العربية ، به تكره وبه تحب ، به تصعب وبه تسهل . من اسلوبه في تدريسها وانطلاقة لسانه في فصيح تعبيرها ، ولباقته في اعتماده المتون الصريحة روحا لا نصا ، وتطبيقا لا حرفا ، في هذا كله تجد القواعد العربية طريقها الى العقول الناشئة بشيء من الوضوح والسهولة .

لنضرب بعض الامثلة على هذا التيسير :

١ — في تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف يجب ان يتدارك المعلم تعريف الاسمية في نوعيها : الذات والمعنى فيشدد على كثرة اعتماد الصفة موصوفا بالعربية وعلى انزال هذه الصفة منزلة المسند مرة والمسند اليه مرة اخرى . وربما كانت هذه الصفة تتناول المنزلتين في آن واحد . ومن فاتته صناعة الاشتقاق فقد بقي غريبا عن العربية .

٢ — الاعلال . هذا الاعلال متاه الطلاب وحجر العثرة في طريقهم الى القاموس ، لماذا لا نسميه « دار التجميل » في العربية ، ايحاء بالفكرة التي كان من اجلها؟ ولماذا لا نعين الطالب على اعتبار هذا المدعو اعلالا انه مجرد

ابدال او حذف ، تسهيلا للنطق باللفظة العربية في ايسر ما يكون من الصوت اللين . مع تصويب النظر الى ان هذه الاحرف الثلاثة المعروفة باحرف العلة هي « احرف صوت » تأتي تمديدا لهذه الحركات المصوتة .

٣ ــ المفعول به لفعل محذوف ، وهو الاسم المنادى او المختص او المحذر منه او المغرى به او المستثنى . فاذا كشفنا للطالب عن بلاغة الايجاز وعن عامل المفعولية البادي معنى ان لم يظهر لفظا سهل فهم هذه الوجوه من الاختزال التعبيري البليغ .

هذا قليل من كثير من مواطن النظر في تيسير القاعدة العربية تيسيرا لا مساس له بجوهر اللغة وانما يتناول اعراضا ترسبت فجعلت قواعد ، غير ان هذه القواعد لا تتعدى قشور اللغة الى لبابها .

ولئن كان طالب مدرسة الامس قد وجد في هذه القشور مادة صالحة لملء فراغه المدرسي ، وللاشتغال باللغة كفاية لا كوسيلة ، فان طالب المدرسة الحديثة يضيق بها صبرا ، و لايستطيع أن يستوعب« اراجيز الصرف والنحو » ومطولات التاليف فيهما « كعلم » لاسيما بعد ان فرض عليه قدر تحصيلي موسع منوع ينتهي به الى شهادة ثقافة عامة اسموها « بكالوريا » . وهكذا تزداد يوما بعد يوم ، حاجةُ طلابنا في مدرسة عصر السرعة ، الى حل هذه العقد اللفظية التي اصبحت قواعد بمرور الزمن على تسميتها كذلك .

ومما يزيد في مشقة تعلم هذه اللغة ان المدرسة الحديثة ، على الرغم مما تحاوله من اعتماد المبادىء والمفاهيم التربوية والتعليمية الحديثة ، اخذت تعتدي على الحصة الزمنية التي يجب ان تكون من نصيب اللغة العربية . كما انها ، اي المدرسة الحديثة ، لا تعير مرحلة التأسيس ، اي المرحلة المعروفة بالابتدائية ، الاهتمام الكافي لترويض اللسان على النطق الفصيح بالحرف العربي ، ولا تعمل على تذخير الذاكرة كما يجب بالمفردات العربية . وكثيرا ما يصل الطالب الى اعلى الصفوف الابتدائية ، وربما الثانوية ، وهو لا يحسن قراءة مقطع شعر او نثر قراءة فصيحة تتناغم فيها المعاني والالفاظ فينطق واضح .

ولقد ثبت بالاختبار الطويل ان مهمة معلم العربية في المدرسة الابتدائية توشك ان تنحصر في سعيه الى تنحية اللغة العامية ، قدر المستطاع ، عن لسان الطالب الابتدائي ، وان يمرنه على كتابة العبارة في شيء من السلابه والوضوح ، في تمارين قصيرة متكررة . ولكي يؤتي جهد المعلم ثماره يجب ان يحسن اختيار كتب القراءة اذ على حسن هذا الاختيار يتوقف توجيه الطالب الى نوعية من التعبير والتفكير مرضية .

ولا بد في هذه المرحلة ، من اعتماد القراءة المشوقة الى جانب القراءة المهذبة . فالطالب الصغير لا يستغني عن مقومات الخيال التصويري الى جانب مقومات الفكر التقريري ، لينمو المركب الانساني نموا متناسب الاجزاء متالف العناصر .

وهكذا تساعد اللغة على تنمية الطالب في معانيه الانسانية بفعل الانصباب على القراءة بلذة المستفيد .

اما المرحلة الثانوية فقوامها من متناولات اللغة العربية اعانة الطالب على تنمية قدرته على التحليل ، وقدرته على الاستنتاج ، وقدرته على ضبط اعصابه ليبلغ اخر هذه المرحلة انسانا سويا : يستوي عنده المنهج العربي وغيره من المناهج ، بنسبة ما عنده من الطاقة الطبيعية والملكات المكتسبة في سنوات التعليم الثانوي

**نسيم نصر**



## دنيا من الالام

اوصدت ابوابي ونافذتي
فأقلني بجناحه ، وكبا

وبقيت استهدي رؤى الصمت
بمسارح الاحزان والموت

مر الزمان علي منحسر الا
ابصرت فيها قطرة نزفت

اثواب يخفي مدية ودما
منى .. ففصت مهجتي الما

ونظرت مسرورا الى جرح
فضمدته ونظرت مكتئبا

متدفق ، ينساب ، في جسدي
لدم يلطخ جبهة الابد

وفتحت ابوابي ونافذتي
دنيا من الالام مثلها

فاذا انا بمسارح الكون
عمري بكل لواعج الحزن

**واد مدني ــ السودان** **عبد الرحمن عبد الله**

# انا ووطني

***

سكنــــت ذراك يـــا وطنــي أبيــا     لغيــر سمـاك لــم امــدد يديـــا
قــربت مــن السمـــاء ، فــان تجدنــي     بعـــدت عليـــك ، لــم تبعـد عليــا
مطــل ضحــاك للدنيـــا مكانـــي     ولســت علــى ســواك بــه خفيـــا
كــانــي فــوق جفنــك مستقــر     فــلا تقــوى علــى نظـــر اليـــا
كـــانــي ضــوء عينــك ،لا تــرانــي     وبــي ترنــو الــى الدنيــا مليـــا
انيـــرك لا لتبصــرني ولكـــــن     لتبصــر كــل شــيء بــي جليـــا
علــوت‌على عـــلاك فهــل ترانـــي     عققـــت بـذاك ام كنـــت الوفيـــا
ربــاك الشـــم غــذت كبريـــائي     كانـــي كنـــت ارضعهـــا ثديـــا
فــلا تنكـر ابـــاءك فـــي عروقـــي     ولا تكفـــر بـــروحــك وهــي فيـــا

***

صممت ولـــو انلتـــك بعض حسـي     سمعـــت الهمس مـن جفنـي دويـــا
تـأوسع للنبـــوغ ، فـــان تلـــده     لتصدمـــه جرفـــت بـــه اتيـــا
وكــم مـــن صخـرة دحـرت بنبـــع     تفجـــر مـــن تحجـرها سخيـــا
فـــذوب قلـــب قســـوتهـا حنينـــا     واطلـــق صمتهـا نغمـــا شجيـــا
كبـــرت عليـــك يا وطنـي ، فماذا ؟     اتـــرجعنـــي لتـــرامنـي صبيــــا !!
فـــدعني واقفـــا فـــي فـيء نفسـي     ومـــد علـــى صغـــارك منك فيـــا
انـــا الفـــار الفنـــي عــن التحلـــي     فمـــن عـــرقـــي ضفـرت لمفرقيـــا
عبـــدت مــن الطبيعـة فيك امـــا     ومـــا انكـــرت منـــك ابـا ابيـــا
قســـوت علـــي فاحتضنت نبوغي     برقتهـــا وغـــذت اصفـــريـــا
وبـــان الفـــرق بينكمـــا لعينـــي     تـــداعــت حكمـــة وشمخت غيـــا
فهـــا انـا سائر فـي هـــدي امـــي     فـــدعني عنـــك يا ابتـــي غنيــــا
ولا تخجـــل‌اذا اعيـــاك امـــر     بـــان تلقـــي بـه فـــي مسمعيـــا
فان البـــر بالابنـــاء عنـــدي     بـــان احنــو علـــى الجانـي عليـــا
اتكشـف فـي الـورى عـن كـــل كنز     ويبقـــى كنـــزك الغالـــي خبيـــا :
وتـــرصـد للنجـــوم بكـــل افـــق     ونجمـــك ليس تبصـــره سنيـــا ؟!
تعلـم مـن ربيعـــك كيـف يزهـــو     ويلبـــس زهـــره النامـــي حليـــا
مـــلاتـــك فانتشـــت دنيـــاك منـــي     ومنـــي لـم تـــذق شفتـــاك ريـــا
ومـــا عتبـــي عليـــك بـــذاك الا     كمـــا عتبت علـى الكـــأس الحميـا

***

جفـــاني ليلـــك اللاهـــي نـــذيرا     اصيـــح بـــه افـــق يـــا ليحل هيـــا
اذا قصـــت عليـــك‌به الحكـــايـــا     قصصت عليـــك حلمـــا عبقريـــا
تفاضبنـــي النجـــوم لـــه كانـــي     حلمـــت بانهـــا سجـــدت لديـــا
تشـــامخ بـــي لـــدى دنيـاك واخشـــع     بفيـــري ان خشعـت لهـــا حييـــا
تـــرانـي اللـــه لا جفنـــا حسيرا     بـــوجه عـــلاك ، بـــل انفا حميـــا
اجـــل هـــواي عـــن‌نـــزوات قلبـــي     ولا اسقيـــه فـــورة مدمعيـــا
الـــى ادبـــي رجعت بدمـــع حبـــي     ليصهــــره ويقطـــره نقيـــا
فـــل كـــم دمعـــة لبست بياني     فسالـــت مـــن فمـــي لا مقلتيـــا
مـــلاتـــك وامتـــلات بـــك اعتـــزازا     وفيـــك كمـــا سكنـــت سكنت فيـــا
ونـــم اســـالـــك بـــي قط احتفـــاء     فحسبـــي ان اكـــون بـــك الحفيـــا
ولا يقصيـــك حتـــى المـوت عنـــي     وابقـــى فيـــك يـــوم امـــوت حيـــا
وليـــس عليـــك لـــي ما عشت حـــق     وحقـــك ان تجـــل وان تحيـــا

فارس سعد

ذلك احساس يمر بالمرء في العشية التي تسبق احد الاعياد ، فكأن الزمن يستطيع ان يهيىء لنا وقفة استراحة نستعيد فيها طمأنينة لا نستطيع تحديدها ، فننطلق في خيالات مبهمة ، ونشعر بالحرية العميقة حتى في حركاتنا العادية جدا او المتوسطة الاهمية ، كوضع شيء في مكانه ، او تقليب صفحات كتاب .

اما اذا كانت تلك العشية هي التي تسبق عيد الميلاد فان ما نحس به عندئذ هو الشوق القلق ، فلدينا امور مشتركة نهتم بها ، كتهيئة هدية مثلا، الا اننا نخلع على ذلك اليوم وعلى تلك الهدية اهمية عظيمة . ان تلك الهدية ، كالنجمة التي تعود عبر الاف السنين الى هناك في فلسطين ، يجب ان تصل الينا مغلقة ، وبكامل نكهتها وجمالها . فماذا اقول اذن اليوم ؟ ان جميع اسرار الميلاد مكشوفة لي .

منذ سنين عديدة كانت لي هديتي. وكانت تبدو لي في ذلك الصباح قريبة الى جانب السرير ، وقد احضرها لي احد الناس سائرا بقدمين حافيتين خلال الليل لئلا يقلق منامي. كانت تلك الليلة متمادية في الطول ، وكانت بيضاء جدا ، الا انها سرعان ما توارت في عتمتها وفي سرها دون ان تخلف ضياء اخر .

انه لعمر مختلف كل الاختلاف .

واني لانظر الى السماء ولا افكر في اكثر من امكان تغطية الارض بالثلج قبل المساء ، فذلك المشهد الناصع البياض ضروري لي ، وان لم يكن ممكنا ان اتبين من خلال نافذتي ضوءا خافتا ينير كوخ بيت لحم ، بل ارى بدلا منه شعلة متوهجة من الانوار الكهربائية .

والان انني ارى في احدى غرف القصر المقابل لي شجرة سرو تتدلى من اغصانها قصبات طويلة وكرات من زجاج منفوخ . وبين الفينة والفينة يتوقف بعض الاطفال لحظة امام الزجاج، ويخيل الي انني اسمع حتى هشهشة السروة عندما يحركها الهواء الذي تثيره العابهم .

وتنفتح النافذة دفعة واحدة، وبعد ان نتنفس ملء رئاتنا نرتدي المعطف، ونلف حول اذاننا واعناقنا الشال الحريري ، وبحجة عدم معرفتنا شيئا سوى الوقت الذي نحن فيه نقذف بانفسنا في المدينة المصابة بالدوار ، كاسماك تبحث عن الماء . كذلك يفعل الناس عندما يشعرون بالسآمة. وفي احد هذه الايام يحدث لاحدنا ان لا يعود يشعر بانه يافع ولا طفل ، فيتلفت حوله قانطا كما لو كان ينتمي الى انسانية منسية . ونحن هنالك ، بعيون جافة لا تعرف التعب ، نعلق نجوما ونلصق على الورق تفاهاتنا المألوفة .



# علبة الموسيقى اليابانية

للكاتبة الايطالية ريجينا انيزيني

ترجمة عيسى الناعوري



اما في ذلك النهار فانني لم اكن افكر في طفولتي ، فقد كانت بالنسبة الي عمرا بعيدا غير حقيقي . وما كان ليخطر ببالي قط ان يكون ما يزال في شيء من الخوف القديم ، او من سهولة التعجب من كل الاشياء ، تلك السهولة التي لا تصدق . لقد بدت لي تلك الفكرة غريبة ومجردة من الاهمية . وكان قد طلب الي ان ارافق احد الاشخاص الى المتاجر ، وكان الغرض من ذلك انتقاء هدية : علبة موسيقية ، لصديقة عزيزة بعيدة . وانصرف همي الى النظر في




الواجهات الزجاجية ، ولكن لم يكن من السهل العثور على علبة بين اللعب والدمى التي لا تحصى . وبين الحين والحين كانت تبرز لنا واحدة بين الاواني الفضية ، او في وسط معرض للمواد الفولكلورية .

وتبتسم لنا فتاة شقراء شعرها مشدود الى عنقها، وتقول : «معذرة»! وترفع الى علو يديها لوحا دوارا ، ثم تتابع قائلة : « ليس لدينا غير هذه » . هنالك علبتان موسيقيتان . وتفتح احداهما حالا ، فتتصاعد منها موسيقى عذبة جدا ، غير ان الطباعة الانجليزية على الغلاف تمثل صيادين يقودون كلابا بالمقاود . وفي احدى الزوايا بين الاعشاب طير حجل يحتضر . كلا ، ليس من الممكن ان نحب هذه العلبة . ثم تعرض البائعة العلبة الاخرى على انظارنا الفاحصة وتقول : « لعل هذه افضل » . ويغوص انفها بلطف في منديل صغير، ثم تمضي تتحدث عن مزايا هذه العلبة وتلك ، منبهة ايانا الى خصائصهما ، وتقول : « هكذا تجري التعبئة ، على هذا النمط » ، وتجري الدورة الموسيقية لكل منهما بحيث تعملان معا بضع دقائق . وانه لسار جدا ان نصغي الى الموسيقى في وسط هذه الثرثرة كلها : حتى الان وهي تتوقف عن الكلام بسبب الموسيقى ، تكشف عن طبع دمث وديع ، فهي متهيئة دائما للاصغاء الى كل من يقترب نحوها . وهنا تعرض امكانات لا حصر لها لانتقاء هدية . وبينما نطرح من حساب مواضيعنا الحسية العلبة الثانية ايضا لانها على شكل القلب ، تقول الفتاة : « اكيد » . ثم لئلا تجرح حساسيتنا تضيف قائلة : « ان ما لدينا من هذه العلب الموسيقية قليل لانها لم تعد من موضة هذه الايام » . وبجراة اكثر قليلا تقول هذه السيدة المتهيبة الباردة ان من الافضل ان ننتقي للهدية منديلا حريريا للراس، اواسطوانة موسيقية، او ترانزيستور . ثم تعرض علينا كل

## الحب القاتل

●

احبك ملء قلبي ملء عيني ... واكثر يا مناي بمرتين
شعورك غابة كم تهت فيها ... وداعبت الشفاه بقبلتين !
شفاهك غيمة بنت العشايا ... مخضبة بشمس المشرقين !
ويقتلني قوامك وهو رمح ... طعنت به عيوني طعنتين ! ...

سللت المقلتين لذبح قلبي ... فجردتا علي كخنجرين ...
فها اني انا سلمت حالا ... وها اني رفعت انا اليدين !!

زحلة — **رياض معلوف**

ما في واجهتها الزجاجية من ذلك . وتنظر الينا بلطفها الذي لعلها كانت تتحلى به في ما مضى — لا اقول هذا بمعنى ان الناس كانوا من قبل اكثر لطفا منهم اليوم ، بل لانها هي نفسها ليس لديها السرعة المألوفة حين تعيد وضع اشيائها وتحسس عليها ، وتنفض عنها الغبار ، وبالتالي تلمس عالمها الخاص اللمسة الاخيرة — ونظرتها هذه لا تخلو من الخبث ، فكانما تريد ان تقول لنا ان ما نفكر فيه لا يسهل تحقيقه ... ولكن اي علبة موسيقية ؟ واين ؟

لعلها في واجهة زجاجية اخرى . في متجر اخر ، حيث تعرض على انظارنا مجموعة من الاشياء غير المخصصة للبيع ، موضوعة هناك منذ لا ادري كم من السنين !

وعدنا فوضعنا املنا الوحيد في علبة حمراء مصنوعة من جلد مغربي جيد . انها فخمة ، ومن علبتها تنبعث حرارة لهيب في مدخنة ، ومن قلبها — وهل هناك ما هو اجمل من هذا في الدنيا ؟ اي رقص ، واي مهرجان ! — ترتفع انغام فالس نمساوي . يا للاسف ! ان في النغم شيئا من النشاز ، فهل استطيع ان اقرب منه اذني ؟

كم مضى من الوقت ؟ لقد مضى منه ما يكفي لكي تتراكم الثلوج على جانبي الطريق، وهناك اناس يرتدون الان مشمعات من البلاستيك لتقيهم زخات المطر والثلج ، والوحل منتشر في كل مكان . ونحن نترك خلفنا انغام موسيقى تانغو ونمضي تحت الثلج بسرعة واسى ، وبغضب ايضا لانه لم يخطر لنا ان نبتاعه ، اعني ذلك الفالس النمساوي في العلبة . وبينما تتناثر الانوار دون رجاء في طريق ضيقة من احياء المدينة القديمة المهجورة اذا بها تبرز امامنا .. ! انها علبة موسيقية يابانية ! وعليها بطاقة صغيرة مكتوب عليها بضع كلمات في وسط القماش العتيق ...

ونسمع صوتا يخاطبنا — وهل يمكن ان يكون غير ذلك ؟ ثم هل للعلبة ثمن ، او هل لها اسم ، او حلم — ولو لبضع ساعات — قائم على العدم ، او على عالم معمور ؟ من يدري ! — ويقول الصوت ان العلبة مبيعة ، ولكن في وسعنا ان نراها بكل تأكيد . انها اصيلة ... وها نحن نسمع اغنية لطيفة تأتي من بعيد . فتيات الفيشا يمضين نحو النهر ، نحو مكان ليس فيه موت ، حيث الحياة بين تزاويق الفراشات ليست اثقل وزنا من الخشخاش المنحني تحت السماء ، او من الضحكات التي تنخز الرياح . فكيف لا نشعر بالهزيمة ، ونستغرق في التأمل الصامت ! لعلك تفكرين في من كنت تودين ان تهدي اليه هذا الصوت، اما انا فافكر في نفسي ، لكن بجميع اشواق المخلوقات التي مضت في اعماقي ، في غمرات السعادة والتعاسة — لا فرق في ذلك ! — لقد كان الزمن ايضا حكاية فريدة ، مغلفة بهذه الموسيقى التي تتباعد، وتقترب. وهذه العلبة الموسيقية هي ايضا اداة لا مثيل لها في التغلب على المصير المتساوي المفروض على البشر، على من كانوا رفاقا لنا فيما مضى ولكنهم لم يعودوا اليوم من اصدقائنا.

ان من العسير ان نعود الى واقعنا الان بخطى غير واقعية ، وان نبتعد عن هذا الجو بعد ان داعب غناء هذه العلبة احاسيسنا .

وعدنا الى الآلة الموسيقية الحمراء، فكانت امينة لنا : لقد استسلمت بيسر وسهولة الى اليد التي اخرجتها من محبسها ولفتها بالورق لفا محكما بين شريطين معقودين . وفي الهواء ظلت تتصاعد انغام العلبة الاخرى متلاشية في هدير سرمدي . لقد كانت الطفولة ما تزال معنا الهة حنونة ، فتحت لنا زاوية من النور على طفولتنا . وفي تلك اللحظة كانت قد اطبقت علبة الموسيقى اليابانية ، وتوقفت عن ترجيع انغامها الحلوة .

عمان — **عيسى الناعوري**

# العوامل التي أدت الى تحرر آسيا وافريقيا

بقلم محمد جميل بيهم

* * *

كانت الحروب حتى القرن الحاضر حروبا موضعية تقع بين دولة ودولة فيكاد العالم لا يشعر بها . ولكن القرن العشرين شهد ما لم يشهده الناس من قبل : حربين عالميتين ماذا عسانا نقول عنهما وقد عشناهما اذا كان زهير بن ابي سلمى وصف قتالا بين قبيلتين بقوله :

**وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم**

على ان الذي يهمنا في الموضوع ما كان لهاتين الحربين من العواقب في القضاء على الاستعمار .

## الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ – ١٩١٨

اشتبكت الدول الاوروبية بحرب طاحنة جعلت المعسكرين: الحلفاء والمحور يتطلع كل منهما الى المزيد من الانصار خشية سوء المصير ، وقد بسمت الحرب في السنين الاولى لالمانيا زعيمة المحور فصعق الحلفاء وهم اركان الاستعمار ، وراحوا يطلقون الوعود الخلابة في اجواء المستعمرات ، كما تطلق الصواريخ الان ، ويستعملون شتى الاساليب لاسترضاء اهلها . وتوجهوا بانظارهم من ناحية اخرى شطر امريكا بغية اخراجها من عزلتها .

لقد كان من الصعب زحزحة واشنطن عن شريعة مونرو، خصوصا وانها كانت لا تزال تتحمس بمبادىء وثيقة الاستقلال التي وضعها الرئيس جيفرسون . ولكن الحلفاء واليهود وراءهم ، في اوروبا وامريكا ، لم ييئسوا بل طفقوا يضربون على الوتر الحساس حتى قضوا على معارضة الرئيس ويلسن ، وقضوا بالتالي بمعاونته على معارضة الكونغرس ، وجروا الولايات المتحدة الى الحرب . وكان مدار دعوة الحلفاء لاميركا يدور حول الدفاع عن بلجيكا والسرب ، وتحرير العناصر في تركيا والنمسا وفقا لمبادىء جيفرسون التي كان يتبناها الرئيس ويلسن .

وفي يوم ٢ نيسان ١٩١٧ ، ذلك اليوم الذي صوت فيه الكونغرس على دخول الولايات المتحدة الحرب ، وجه هذا الرئيس رسالته الثانية الى الكونغرس ، وقال فيها بطيبة قلب :

« ان القانون شيء اغلى من السلام . ولذلك سنحارب دفاعا عن المبادىء التي كانت دائما اثمن من حبات قلوبنا . سنحارب من اجل الديموقراطية ، وسنكفل للذين اذلهم الاستبداد الحق في ان يكون لهم رأي في توجيه حكوماتهم . سنحارب من اجل حقوق الامم الصغيرة ، وحرياتها . »

ثم اوضح هذا الرئيس ، المخلص للمبادىء الانسانية ، اسس السلام التي يريد ان يحققها بعد نهاية الحرب وذلك برسالته الشهيرة التي وجهها الى مجلس الشيوخ في ١٨ / ١ / ١٩١٨ ، والتي تضمنت مواده الاربع عشرة المعروفة .

غير ان الدكتور ويلسن كان في واد ، والحلفاء في واد . فلما وضعت الحرب اوزارها وتم لهؤلاء الانتصار المنشود كان مثلهم كمثل القوم الذين وصفهم القرآن الكريم بالآية : « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر ، فمنهم مقتصد ... »

وقد لبى الدكتور ويلسن دعوة حلفائه المنتصرين . وجاء الى باريس واشترك في مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ . ولكن حاول عبثا اقناعهم بان يقرر المؤتمر المبادىء الاربعة عشر التي كان وضعها كاسس للسلام . على انه وان لم ينجح في هذه الناحية فقد اصاب نجاحا في ناحية اخرى كان المرحلة الاولى من مراحل تحرير الشعوب . فقد كان هذا الرئيس حريصا على قيام جمعية للامم بعد نهاية الحرب تشرف على تحرير العناصر . وقد اعرب عن رايه هذا في خطاب القاه بنيويورك يوم ٢٧ ايلول ١٩١٨ قال فيه : « وعندي ان تاليف جمعية الامم وتعيين الفرض منها تعيينا صريحا يجب ان يكون جزءا من الصلح نفسه ، بل اهم جزء فيه . » فما وسع الحلفاء الا مسايرة امريكا في هذا الطلب واقراره ، في مؤتمر الصلح ، تاليف عصبة الامم هذه العصبة التي وان لم تستطع الاستقلال عن نفوذ الحلفاء من بعد الا انها وقفت موقف الحكم في القضايا السياسية العالمية .

وقد اتيح لي ان اشهد بنفسي احد مواقفها هذه حينما ابرقت اليها بوصفي رئيسا لجمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية شاكيا من الفوضية الافرنسية لاقدامها على حل المجلس النيابي اللبناني سنة ١٩٣٢ . فقد نظرت عصبة الامم في دورتها وقتئذ الى هذه الشكوى ، وطرحتها على الكنت روبير دوكه الممثل الفرنسي للمناقشة (١) .

والى هذا فقد كان لهذه الحرب ، ولاشتراك امريكا في مؤتمر الصلح مأثرة اخرى في تقدم قضية تحرير العناصر .

(١) انظر تفصيل ذلك في الجزء الثاني من كتابي « قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور » صفحة ١٠٤ .

ذلك بان الدول المنتصرة لم تستطع ممارسة العادة التي كانت مألوفة من حيث استيلائها على بلاد العدو المحتلة، بل اضطرت للعدول عن هذا الاسلوب الى سلوك طريقة جديدة اطلق عليها اسم الانتداب وكان على درجات ثلاث معلنة ان الغاية في هذا الانتداب اعداد تلك البلاد للاستقلال. وكانت كل دولة منتدبة ترفع الى عصبة الامم سنويا تقريرا عن القطر الذي يقع تحت انتدابها. وهذه الانتدابات وان اساء المنتدبون استعمالها حتى حولوها الى استعمار من نوع جديد، الا انها، في الواقع، جاءت من حيث القانون خطوة شطر الاستقلال، كما انها، فتحت بابا لمرجع اعلى، وهو عصبة الامم المشرفة على الانتدابات كانت البلاد المنتدب عليها، تدخله كلما اضطرت للشكوى.

واما المأثرة الكبرى لهذه الحرب فقد صدرت عن نكوث الحلفاء بوعودهم للشعوب دون مبالاة، ذلك النكوث الذي كان حافزا لها للانتفاضة انتفاضة المارد، وتتلقى الضربة اثر الضربة فتزيدها هذه الضربات حماسا. فاذا بالحقبة التي مرت بين الحربين العالميتين تمسي حقبة صراع شديد بين المستعمرين المتفقين على مصيرهم، وبين المستضعفين المغلوبين على امرهم الذين ينشدون الحياة الحرة. تلك الحياة التي يحلمون بها، والتي وعدوا بها.

## الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥

تنفس الحلفاء الصعداء بعد انتصارهم على المحور في الحرب العالمية الاولى، وظنوا بانهم ادركوا هدفهم المنشود بتأمين حياة الاطمئنان. ولكن الضغط يؤدي الى الانفجار، فاذا بالمانيا التي هدمتها الحرب تنتفض من تحت اثقالها، ويبرز الى الميدان هتلر المارد الجبار على راس النازية، واذا بايطاليا التي سحقتها الحرب ايضا تنتفض، وينتصب موسوليني على راس الفاشستية حالما باعادة عظمة الرومان. فعاد الصراع بين الفريقين، كرة اخرى، الى اوروبا وعاد الى اسوء مما كان عليه قبل الحرب العالمية الاولى. ثم تمخض هذا الصراع عن حرب عالمية ثانية كانت اشد هولا من الاولى. وكان هتلر يحسن الدعايات، مما حمل الحلفاء على ان يأتوا بأحسن منها.

ولكن الشعوب لم تعد تصدق الوعود الخلابة كما من قبل. فكيف العمل والحرب الثانية شرعت تبسم لبرلين وروما منذ اوائلها؟ ان الخطر الشديد اذا احاق بالانسان يوقظ ضميره، ويوحي اليه وسائل الخلاص. وربما كان الحلفاء، وقد احاق بهم الخطر الشديد وقتئذ، فكروا بالخلاص، ولكنهم اذ يعرفون ان الشعوب لاتحسن الظن بهم على اعتبار ان المرء لا يلدغ من حجر مرتين فقد فكروا باشراك واشنطن في الوعود الجديدة. فاذا بالميثاق الاطلنتي يذاع في الافاق موقعا من فرانكلان روزفلت ونستون تشرشل بتاريخ ١٤ اب ١٩٤١ بعنوان: «المبادىء المشتركة لكل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة في السياسة الوطنية التي يبنيان عليها مستقبلا افضل في العالم.» وقد جاء في المادة الثالثة من هذا الميثاق ما يلي:

«تحترمان حق جميع الشعوب في اختيار شكل الحكم الذي تود العيش في ظله، وترغبان في ان تريا حقوق السيادة والحكم الذاتي معادة الى الذين نزعت منهم قسرا.» واذا بوعود أخرى كلها اغراء تنشر في كل مكان. وعلى كل لسان.

ولقد انتهت الحرب العالمية الثانية على حسب ما كان يبشر به تشرشل في غضون الشدة. انتهت بنصر الحلفاء ايضا، وانتصب الميزان بعدها. ففي كفة منه شعوب تذكر بالوعود وتطالب بتحقيق امانيها القومية، وفي كفة اخرى دول تتردد مشفقة على مصيرها أن هي تخلت عن مستعمراتها، وحرمت بالتالي من استغلالها واستثمار ما اقامته فيها من منشآت وشركات، ولولا ان تبدل التوازن السياسي (ستاتيكو)، حول الزعامة العالمية السياسية، بعد الحرب العالمية الثانية، من حوزة انكلترا وفرنسا الى قبضة امريكا والاتحاد السوفياتي لما رجحت كفة الشعوب المحكومة المظلومة.

## الانقلاب في التوازن السياسي

انتصرت انكلترا وفرنسا وامريكا وانصارها على المانيا وايطاليا واليابان ومؤيديها، وكان المفروض بعد ذلك أن يزيد هذا الانتصار الكبير كلا من لندن وباريس عظمة على عظمتها السابقة، ولكن الامر جاء على عكس ما هو منتظر. فهاتان الامبرطوريتان اللتان كانتا قبل الحرب تعتبران في المرتبة الاولى، بين الدول، بل في ذروتها انحدرتا، من بعد، الى المرتبة الثانية، وعانتا من عواقب الحرب ما عانته الدول الخاسرة حتى لم يعد في استطاعتهما الوقوف على ارجلهما الا بالاستعانة بعكاز اميركي. واذا بدولتين جديدتين كانتا من قبل في شبه عزلة عن اوروبا تحتلان مكانهما، وتصبحان دونهما في مقام الصدارة، واعني بهما الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي.

وهذا الانقلاب في التوازن السياسي العالمي كان له اثر بالغ في صعيد تحرير البشر من الاستعمار. ذلك بان هاتين الدولتين، اللتين احتلتا الصدارة في العالم مكان اعظم امبرطوريتين مستعمرتين، وان كانتا تختلفان كل الاختلاف من حيث المبدأ الاجتماعي، الا انهما كانتا، على وجه عام، متفقتين على مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها. وقد قلنا على وجه عام لان موسكو كانت تحرص على ان يطبق هذا المبدأ خارج البلاد التي تدور في فلكها، ولان واشنطن المرتبطة بالحلف الاطلسي كانت رغم مبادئها السياسية الطيبة تضطر لتأييد المستعمرين حلفائها مراعاة لاماني هذا الحلف، فتبدو وكأنها كبيرة المستعمرين.

## أحلام الفجر

تطوف بي الاحلام في سنة الفجر ... وأعلقها بالذهن شاغلة الفكـــــــر
تمخضت الايام عـن فجـــر ليلـــة ... توهمتها حال الكرى ليلة القـــــدر
وطوقني من طيف ليلاى ساعـــــــد ... فاحسست ان الصدر ماج على الصدر
ومس فمى فاها فوقعت قبلـــــــــة ... هي الامـــل الحلـو المتوج للثغـــــر
وانفاسها مسكية النشر أنعشـــــــت ... شعوري فانهل الرصين من الشعـــر
فرصت اناجيها وأفتـــن معربـــــــا ... عن الحب في وصل الحبيب وفي الهجر
واشكو هواني يوم شط مزارهـــــــا ... غداة رمت سهم القطيعة والغـــــدر
وللدمع في بث الشكـــــاة حرارة ... وللقلب دقـــــات تنم عـــــن السر
وما منطقى في البـــث الا لواعـــج ... تسيل على الخدين في مدمع يجري
فمدت بنانا كالحريـــر وكفكفـــــت ... دموع الاسى حتى سكنـت الى الصبر
ولما تعاهـــدنا ومـــالت تضمـــــني ... الى الصدر في وجدصمـوت على الاثر
فالفيتني فـــوق الفـــراش بمفردي ... اسائل نفسى : اين ليلى ؟ فلم ادر !.
عفاء على الدنيا ، عفاء على الهـــوى ... اذ اسلمتنا للشتـــــات يـد الدهـــر
فما الحب الا خافـــق جنـب خافق ... طليقين في جـــو الحياة مـن الاسـر
الا ليـــت احـــلام الحياة حقائق ... وليت حياتي كلهـــا سنة الفجـــــر
وحسـبي من طيـــف الحبيبة انني ... تقلبـت بالوصـــل العفيف على الوزر

**القاهرة** ... سلامه **خاطر**

والواقع ان هذا العرج من قبل واشنطن، وهذا الاستثناء من قبل موسكو وان مدا في اجل الاستعمار الا ان قيام هاتين الدولتين مقام الامبرطوريتين المستعمرتين في صعيد زعامة العالم أدى خدمات كبرى للشعوب المناضلة في سبيل التحرر ، خدمات ما كانت لتبرز لو ظلت لندن وباريس تسيطران على مقدرات العالم، كما كانتا قبل الحرب العالمية الثانيـة .

وهذا الانقلاب في التوازن السياسي الذي وقع في اعقاب هذه الحرب رافقه انقلاب آخر في مجرى الصراع القديم بين الشرق والغرب ، فبعد ان كان الصراع يدور بين آسيا واوروبا اصبحت روسيا في لغة السياسة زعيمة الكتلة الشرقية ، بينما اضحت الولايات المتحدة الاميركية زعيمة الكتلة الغربية . وكم كان لهذا الصراع من فوائد في الاجهاز على الاستعمار ؟

نشبت بين الكتلتين حرب باردة ، ولكنها ، في الواقع ، كانت حربا حامية طالما هددت العالم ، ولا تزال ، بالخراب اليباب . وقد سأل سائل برناردشو وذلك قبل تقدم علم الذرة الهيدروجينية، واكتشاف الصواريخ، عما سيستعمله المتحاربون في الحرب العالمية الثالثة من الاسلحة ، فقال « لا ادري ، ولكني على يقين بانهم سوف يعودون في الحرب العالمية الرابعة الى استعمال العصي والحجارة » اشارة الى الخراب .

وكان محور السياسة الروسية في هذه الحرب الباردة يدور حول مخطط مثلث النواحي قوامه الدعوة الى السلام، والمنافسة الاقتصادية ، وتأييد الشعوب في نضالها ضد الاستعمار الغربـي .

والواقع فان تأييد الاتحاد السوفياتي للشعوب التي انتفضت ، او ثـارت على الاستعمار ، وذلك بالمال والاخصائيي ، وفي المحافل السياسية لم يزدها نشاطا وحماسا فحسب ، بل ان هذا التأييد الذي جاء في ظروف هي في اشد الحاجة اليه كان حافزا لها ، رغم خوفها من الشيوعية ، للانحياز الى صف موسكو ، وان بررت هذا الانحياز بزعمها انها تقف موقف الحياد .

وهكذا فان الثورات والحروب ، وما نتج عنها من تبدل الافكار في اوروبا ، وتبدل التوازن السياسي مهدت كلها الطرق ، وعبدتها لتحرير العالم المستعبد ، ولكن هذه العوامل الملائمة كان يمكن ان تذهب هبـاء منثورا لو ان الشعوب المغلوبة على امرها ، لم تبادر الى سلوك هذه الطرق بعزم وثبات وتضحية ، مكتسبة الفرص المؤاتيـة . وهذا ما سنتحدث عنه في مقالنا التالي ، الذي نستعرض فيه نضال الشعوب في سبيل الاستقلال . « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى » .

**محمد جميل بيهم**

# طبقة الفهماء

**بقلم حسن الكرمي**
**من العروة الوثقى في لندن**

* * *

قرات في احد اعداد مجلة « انكونتر » اللندنية مقالة للاستاذ برنارد لويس بعنوان « الشرق الاوسط ضد الغرب » ، وهي فصل مأخوذ من كتاب له بعنوان « الشرق الاوسط والغرب » . وقد لاحظت من قراءتي لهذه المقالة ان انتشار الثقافة الغربية في بلاد الشرق الاوسط احدث في بادىء الامر انكماشا عنها مدة من الزمان ثم اقبل العرب والمسلمون عليها حتى انقطعوا تدريجا عن مصادر الثقافة العربية الاسلامية ، ثم تجافوا عنها . وكنت اطلقت على هذا الانصراف عن الثقافة الاصلية كلمة (التجافي) المعروفة الان في الاصطلاحات الغربية وغير الغربية بكلمة Aliention في مقالة سابقة نشرت في هذه السلسلة . وهذا التجافي معروف في اوروبا منذ القرن التاسع عشر ، وخصوصا بين رجال الفكر والمثقفين، وقد المعت الى ذلك في نهاية ذلك المقال . واذا وصفنا عصر النهضة في اوروبا بانها عصر تحرر الفرد العاقل والعصر السابع عشر بعصر النبوغ ، والعصر الثامن عشر بعصر الرجل الطبيعي ، والعصر التاسع عشر بعصر الرجل الاقتصادي والسياسي ، فان العصر العشرين هو عصر التجافي وعصر انفصام عرى الاتصال بين الفرد وماضيه ، مما ادى الى فقدان الفرد طمأنينته النفسانية ونقطة الارتكاز التي تقيه من التطوح في مهاوي الفوضى الفكرية وعدم التبعية الثقافي .

والتجافي في العصر الحاضر له نواح مختلفة . منها اولا التجافي عن الماضي . فان الانسان يكون انسانا بالمعنى الصحيح اذا اجتمع فيه الماضي مع الحاضر ، حتى اذا قلعت منه جذور الماضي اصبح كيانا اجوف وفقد نفسه وشخصيته بل ان استشعاره بالماضي يجعله يثور على الحاضر عند الحاجة ، واذا فقد ذلك الماضي فقد قدرته على الثورة وقدرته على الابداع والتغيير والاصلاح المثالي .

ومنها ايضا التجافي عن المكان والوطن ، فقد كان الانسان في الماضي يثبت هويته بالانتساب الى مسقط راسه ، كما كانت عادة الادباء والعلماء العرب اذا انتسبوا . وكان هذا التعلق بالوطن حينما كانت وسائل السفر والتنقل غير ما هي عليه الان . اما اليوم فقد زالت الحواجز والحدود بين المواقع الجغرافية ، وزالت معها روح الانعزال وطبيعة التحيز في منطقة دون اخرى ، وادى ذلك الى انسباك الناس في بوتقة واحدة لا يكاد المرء يجد بين انسان وآخر فروقا كالفروق التي كانت توجد بين الناس في العصور الماضية .

ومنها ايضا التجافي عن الطبيعة ، لان الانسان في هذه السنين اصبح منقطعا على الاحتكاك بالطبيعة من ارض ، ونبات وحيوان وبرد وحرارة ، وذلك كله بسبب التطور الصناعي اولا وانجراف الناس نحو المدن . ويشاهد هذا التطور حتى في اللغة المستعملة ، فاللغة عموما في اوائل عهدها تأخذ معانيها من الطبيعة ، وتكون امثالها وحكمها اقرب الى الحيوان والنبات والظواهر الطبيعية . ولكنها بتقدم الانسان صناعيا وابتعاده عن الاحتكاك بالمخلوقات غير الانسان تفقد هذه الخاصية المميزة ، وتصبح خالية من تلك العبارات والتشبيهات القائمة على صور الحيوانات والنباتات والظواهر الطبيعية . ولنذكر للتدليل على ذلك مثالا او مثالين . فالعرب ، اذا ارادوا ان يصفوا شيئا بالتعقيد قالوا : اعقد من ذنب العنب . ولكن من منا الان يستعمل هذا التشبيه الا في ما ندر ؟ وقس على ذلك .

ومنها التجافي عن الاشياء ، او عن الاملاك الثابتة الغير المنقولة . ومعلوم ان الانسان في الماضي كان يعتمد في توطيد كينونته على الارض والبيت قبل كل ذلك . اما الان فقد استبدل الانسان ذلك باسهم في الشركات او بالاموال المستثمرة في المشروعات المختلفة ، بل انه استبدل ذلك بسيارات او آلات . وزاد من شدة التجافي هذه في بعض البلاد الغربية اقبال الشباب خصوصا على شراء السيارات والتنقل فيها من مكان الى مكان .

هذه بعض نواحي التجافي الذي يمتاز به العصر الحاضر في العالم كله ، لا فرق في ذلك بين شرق وغرب . ولكن اخطر هذه النواحي تجافي الانسان عن ماضيه ، وهذا اول ما جرى في البلاد العربية بعد انتشار الثقافة الغربية ، ولا شك ان النواحي الاخرى اخذت تفعل مفعولها ايضا في هذه البلاد ، وسيؤدي كل ذلك الى تحلل الفرد من كل الروابط وانفكاكه من الصلات الثقافية الاصيلة ، فيزداد فردية على فرديته . وقد يصيبه ما اصاب الفرد الغربي الذي اصبح اشبه ما يكون بريشة في مهب الريح ، يخاف من حريته ويقلق على مستقبله ، ويقنط من ان يكون لحياة مغزى له قيمته . وليت الفهماء والمفكرين في البلاد العربية يتعظون بهذا الدرس ، فيسعون منذ الان الى ايجاد دعائم تمسك شخصية الفرد من الانهيار . وافضل ما يعمل في هذا السبيل ، كما ينصح « روبرت نسبت » في كتابه « كميونتي اند باور » هو تقوية روح الجماعة . وينصح الشاعر الانكليزي اليوت للادباء ان يوطدوا دعائم الثقافة الغربية عن طريق تقوية اسس هذه الدعائم ، وهي التراث الاغريقي والروماني والمسيحي ، وهذا ، بالقياس ، واجب على الادباء العرب ، وخصوصا الفهماء والمفكرين منهم . ولكن كيف يتسنى لهؤلاء القيام بهذا الواجب ، اذا كانوا هم انفسهم قد اصيبوا بمرض التجافي وانقطع حبل الوصل

مابينهم وبين ثقافتهم ؟ والذي يظهر لي ان الفهماء والمفكرين في البلاد العربية قد تخلوا عن هذه المسئولية ، بل عن كل مسئولية ، كما جرى لامثالهم من الفهماء والمفكرين في البلاد الغربية . وتفسير ذلك ان تجزء الاختصاص في البلاد الغربية لم يدع للفهماء مجالا واسعا يجولون فيه ويبحثون القضايا الفلسفية الشاملة ، بل حصر كلا منهم في حيز ضيق منعزل عن الحيز الاخر ، وبذلك انحصرت النظرة وضاقت . هذا من جهة واحدة . ومن جهة اخرى فأن جماعة الفهماء التي كانت معروفة في القرن الثامن عشر في فرنسا وفي القرن التاسع عشر في روسيا قد دخلها اناس ذوو اتجاهات فكرية مختلفة ، ودخلها ايضا مفكرون ومثقفون وادباء لا ينتمون في الحقيقة الى جماعة الفهماء كما عرفناهم ، وانما دخلوا في غمار هذه الجماعة بسبب تنوع العلم والمعرفة وازدياد عدد المتعلمين من فلاسفة وعلماء طبيعيين على اختلاف انواعهم وادباء وكتاب وصحفيين ونقاد ادبيين واساتذة جامعات ومعلقين في الجرائد وفي الاذاعات وغير ذلك . وبهذا اختلط الحابل بالنابل وصار الكتاب في الوقت الحاضر في الغرب يستعملون كلمة (انتليكتشوال) ( مفكر ) بدلا من كلمة ( انتيليجنسيا ) . ثم اختلفوا في من يجب ان يطلق عليه كلمة ( مفكر ) من بين هذا الجيش العرمرم من المتعلمين ، واختلفوا ايضا بالطبع في تعريف ( المفكر ) . وقد قرات فصلا طويلا في كتاب للاستاذ بير عن هذه النقطة ، ذكر فيه المؤلف امثلة عديدة من التعاريف التي اوردها المؤلفون لكلمة ( مفكر ) . ولا اريد ان اضيع وقت القارىء في قراءة هذه التعريفات لو ذكرتها له ، ولكن الذي لاحظته ان هذا المؤلف يرى كما يظهر ان كلمة ( انتيلنجسيا ) قد استبدلت الان بكلمة ( انتليكتشوال ) ، ولو ان الاستاذ ريمون آرون يستعملها كثيرا في كتابه « افيون المفكرين » . اما انا فسأظل استعملها بالمعنى الذي شرحته في اول مقالة من هذه السلسلة ، ولكنني ساستعمل كلمة ( مفكر ) بمعناها العمومي ، اي بمعنى الشخص المتعلم الواقف على الماضي والحاضر والقادر على ابداء الراي كتابة وخطابة بلغة ادبية. واذكر بهذه المناسبة ان الاستاذ مونتغومري وط من جامعة ادنبره في سكتلندة ، صاحب التآليف عن النبي والاسلام ، الف كتابا عن الغزالي بعنوان « مفكر مسلم » ، صدره بفصل عن وظيفة المفكر . وغرضه في هذا الكتاب ان يجيب عن سؤال مهم وهو : اذا قبلنا بان مجرى التاريخ تقرره الى حد بعيد العوامل الاقتصادية والمادية ، فماذا نكون قد تركنا من دور يلعبه المفكر الذي بضاعته الافكار والآراء ؟ ولا يفرق المؤلف بين الفهماء ( انتليجنسيا ) والمفكرين ( انتليكتشوال ) ، بل يعتبرهم جماعة او طبقة واحدة وان اختلفوا فيما بينهم . والفهماء او المفكرون في نظر المؤلف هم بمقام العوامل الروحية في الامة ، لانهم هم حملة الآراء والافكار التي يقوم عليها كيان الامة . ومع ذلك فانه يقسم المفكرين الى ثلاثة اقسام : (١) المفكرون الادويون، وهم العلماء النظاميون الذين يوفرون لنا بابحاثهم العلمية الاداة او الادوات للتحكم بالمحيط . (٢) المفكرون المنظمون، وهم الفلاسفة ، وفلاسفة العلم النظامي ، ورجال الدين واصحاب النظريات القانونية . (٣) المفكرون الملهمون وهم الزعماء الدينيون كالانبياء والشعراء والادباء والمؤرخون ورجال البحث في الموضوعات الانسانية ، الذين يؤثرون في المجتمع بآرائهم التي هي اقرب الى الالهام . ويقول المؤلف ان المجتمع يكون مجتمعا له مميزاته بكونه مبنيا على اسس فكرية وثقافية ، ومتى كانت هذه الاسس شاملة عامة كان المجتمع أثبت وادوم ، لان اختلاف الاسس الثقافية في مجتمع ما تحدث فيه توترا يفسخه ويفكك عراه . ولذلك فمن واجب المفكر ان يحاول ايجاد اسس فكرية ثقافية جامعة تضم اطراف المجتمع وتوحد بين جوانبه واجزائه وتخفف من حدة التوتر الداخلي فيه . وهذا يتطلب من المفكر ان يكون محايدا بين جانب واخر في هذا التوتر ، حتى يتمكن من ايجاد تلك الاسس الفكرية الثقافية الجامعة.

لندن — **حسن الكرمي**

## رحيل السنونو

حينما تعصف أرياح الخريف
ويوارى الصيف في رمس الزمن
تترك الاوكار بالدمع النزيف
من عيون ، علقت أرض الوطن...

... واذا ما شيعت أوكارها
وغدت تنساب في بحر الفضاء
حملت أشواقها تذكارها
صور الفجر ، واحلام المساء !..

كيف تنسى ، كلما ذكرها
خاطر يطفر في تلك الجنر
حيث شادت في الاعالي وكرها
وقضت فيه أسابيع العمر ...

...يا طيورا خشيت برد الصقيع
رافقت سربك أشواق المقل
عاودينا ان دنا الحلو الربيع
وبدا البرعم والغصن اكتمل ...

نلتقي بعد فراق وشتات
في الحمى أهل هوى ، أو اصدقاء
خفقت للحب فينا نسمات
فشدت أرواحنا لحن الوفاء ...

**محمد شمس الدين المحامي**

القت آخر نظرة الى خيالها في صقال المرآة .. وابتسمت .. انها الان في اوج زينتها وحسنها ... كان ذلك دابها دائما عندما تخرج للقياه .. اما الان .. اليوم ... فيجب ان تتزود باشياء اخرى اعمق وابعد مدى .

اغلقت باب حجرة نومها برفق ، هذه الحجرة رفيقتها .. التي تبثها – وخاصة في الامسيات لواعج قلبها الفتي الحار .. ثم ابتسمت للمرة الثانية .. حيثامها وبكلمات رقيقة قالت .. ادعي لي يا امي ثم رفعت يدها الرقيقة الحلوة وابتسامتها تزداد اتساعا .. اعرف .. اعرف انك احيانا بل وكثيرا ما تقومين من نومك لتدعين لي .. لكنني اليوم ... اليوم بالذات ارجو ان تتجهي الى ربك ليشد ازري ويحميني .

وتحار الام الطيبة ثم ترتسم ابتسامة على محياها المضيء ... ابتسامة وجلة تائهة فتسألها ما هو الخبر يا ابنتي ؟

فتقول الابنة بعد ان تقرص وجنة امها : اولا تعرفين ؟

وحينما يستقبلها الشارع بضجيجه وناسه .. تلوح امامها بعض الصور. بعضها لوحات تفننت هي نفسها في رسم شخوصها ومزجت باناملها القلقة الحارة بعض الوانها .. وحلا لها ان تفاخر ببعضها .. اما بعضها الاخر والذي كانت تريد ان تضيف اليه او تحذف منه بعض المشاهد والالوان فقد اقنعت نفسها بان هناك من اترابها من يعيش بلا صور ولا الوان ..

اوائل هذه الصور .. انها بعد ان حصلت على شهادتها الجامعية والتحقت بشركة – متوسطة ذيوع الصيت – عرفته .. نبيل .. لم يكن اوسم الزملاء او اكثرهم طولا او عرضا .. لكن كان فيه شيء هذا الشيء الدفين الذي لا نراه لكننا نحسه يضفى على النفس انعكاسات تسلمنا الى اجواء عليا حالمة .. بعضها يصنعه غرورنا وبعضها يبثه فينا الاخرون .

وارتدت هبة الى الواقع مرة اخرى عندما وجدت انها في طريقها الى ركوب القطار الذي سيوصلها بعد ساعة اليه .. واختارت ركنا منزويا من المركبة واطلت من النافذة وشاهدت الحقول الخصبة النضرة وتنفست تنفس الراحة ثم اغمضت عينيها ، الى ثوان ، وفتحتهما ثانية لتستأنف استعراض الصور .




كانت تقضي في الشركة جل وقتها تعمل كهاوية ولذا .. فقد احبت عملها .. مما قربها الى رئيسها وزملائها وزميلاتها .. اذا اطلقت ضحكة فهي من قلبها واذا ما غضبت فاتحت من اغضبها بكلمات رقيقة موجهة ترجعه اليها .. اكثر محبة وتمسكا بها .

انها بسيطة ... صادقة .. طيبة اما هو فماذا تقول ؟ كان منطويا .. ومع انطوائه كان يخرج حديثه ناعما منمقا مهذبا .. فاذا ما غضب – وهو شيء نادر – لا يثور .. لكنه يقطب حاجبيه ويغضي .. ولا يكلم احدا .. حتى نفسه .




سرعان ما مضت الايام .. الاشهر ثم .. مضى عام .

حبها يزداد وينمو وهي تستعيد حياتها البيتية اليومية .. امها الطيبة الحليمة العطوفة النشطة والتي ترعاها وتظللها باجنحة الحب والحنان عكس والدها .. التاجر الصارم الفارع الطول الشديد النحافة والجهامة والعبوس الـ .. ماذا تقول ؟ يخيل لها انها لا تقدر على البوح حتى بينها وبين نفسها ان تقول المقتر البخيل .. تسمع خالها كثيرا ما يردد لامها .. قائلا انه ربح اموالا طائلة وله رصيد لا يستهان به في البنوك ومع ذلك .. ثم تحتجز صوته غصة عندما يشير الى الصحاف التي امامهم وهو مدعو الى الغداء . العجيب ان والديها لم يرزقا بغيرها ومع ذلك فهي تتوق الى ارتداء الملابس الانيقة الزاهية الالوان الغالية الثمن والى طعام ترى يسلمها بعد ذلك الى نعاس العافية والصحة .

اذن .. فان بيتها لم يكن احسن البيوت وبودها ان تنتقل الى بيت آخر من صنعها وحسب مزاجها .. وقد عرفت شريكها واختارته وميزته ووضعته في حنايا قلبها واغلقت عليه .. في اول صباها غازلها ابناء الجيران .. خفق قلبها خفقان الزهور والاعجاب وارضى ذلك غرورها .. اما الان بعد ان اكملت العشرين من عمرها فقد احست وعرفت ما هو الحب .

مرة .. وفي خلال العام الاول .. تذكر ان الشركة قامت برحلة الى ضاحية .. وبعد ان رافقها نبيل الى ناحية بعيدة اسر اليها .. انه احبها وقد اعلن عن عاطفته بكلمات رقيقة حالمة لا تنساها وتستعيدها كثيرا في خلوتها ..

همس اليها وهو يرشق في شعرها السبط الفاحم وردة بيضاء :

هبة .. تعلمين انني احبك .

تذكر تماما ان اهدابها الطويلة رفت ثم نحت بوجهها بعيدا وقلبها يخفق وابتسامتها المضيئة يزداد اتساعها .. فامسك بيدها واكمل حديثه وهي شبه مخدرة : مرتبي يكاد يغطي مصاريفي .. اريد ان اهيء لك عشا لا يكفي الحنان والحب لاقامته - ثم اشار بكلتا يديه - بل المادة .. المادة يا هبة يجب الا نستهين بامرها .. نستطيع ان ننجب ونحن غير هيابين - و ...

وبأحلامها ومشبوب خيالها تذكر انها اجابته قائلة : اتريده صبيا ام بنتا ؟

فيقبل يديها خاشعا .. ويجيب بضحكة خافتة : تقصدين اول الطابور ؟ لن نكتفي باقل من اربع .

رجعت الى بيتها في ذلك اليوم .. وهي سعيدة مرتاحة البال مطمئنة الى نوايا حبيبها .. وقد انصرم العام الاول .. وال .. ثاني وها هما في منتصف العام الثالث :

تقدم الى ابيها الكثير من الشباب .. والرجال .. المتوسطي العمر ، ودافعت عن نفسها مرارا بحجج بعضها مقنع وبعضها واهي وقد سبب ذلك مشاحنات كثيرة بينها وبين والدها .

وفي يوم .. من بداية العام الثالث .. فوجئت بان نبيل قد انتقل الى فرع اخر من الشركة بمرتب مضاعف .. خالجها مزيج من شعور الحبور والكآبة .

تيقنت ان السبب في تأخير ارتباطهما في طريقه الى الحل ...

لكنها لم تستطع ان تقنع نفسها بانه في استطاعتها التعود على فراقه .. لقد الفت فراق امها وابيها .. حتى وقت الظهيرة .. لكن حبيبها وتوءم روحها كيف تستطيع ان تؤدي عملها دون ان ترفع رأسها من امام اوراقها لتتزود بنظرة - ولو عابرة - من محياه كيف تستطيع ان ترجع الى بيتها دون ان يصاحبها ويحميها في الطريق من ضجيج المارة والعربات كيف تستطيع ان تبدأ عملها اليومي دون ان تلقي عليه بتحية الصباح ؟

عندما كانت تستقبلها امها - وقت الظهيرة - كانت تسألها هل تغيرت مواعيد الرجوع ؟ لانها لم تعلم انها بعد - ارهاق العمل - تسير مسافة ليست بالقصيرة حتى تلتقي به وهو خارج من محل عمله الجديد .



هدى جاد

•

في اول الامر .. هاله تصرفها المندفع .. الوفي .. ثم - بمضي الوقت - استمراه واخيرا ، مله وزهد فيه .

وقد احست هي بذلك وراجعت نفسها وقالت وعزتها تضنيها وبعض الالم يوغر قلبها : لعلني ترخصت .

وراضت نفسها على الا تراه الا اذا رغب هو في ذلك .

ثم عاشت .. كالالة تعمل .. كمحترفة تجري وراء لقمة العيش .

والغريب ... الغريب انه من خلال فترة فراقها .. بدأ اولا يحادثها بالتليفون ثم - تدريجيا - قلت المكالمات .. واخيرا كادت تنقطع ..

لكن من بضعة اشهر حدث ما لم يكن في الحسبان .. لم تعرف محبة الاب وقدر مكانته الا عندما نهشت جسمه الامراض .

لقد اسر الطبيب الى امها محذرا: زوجك وهب عمله كل صحته .. لم يعد فيه الا انفاس تتردد .. تلزمه الراحة التامة .. لكن حتى هذه لا استطيع التكهن بنتيجتها .. هذه الفترة لا تستطيع ان تنساها ... فقد منحتها الشركة اجازة طويلة .. وفي ابان مرض ابيها تقاربت روحاهما .. تذكر تماما احاديثه الابوية الحنونة المتقطعة .. الصادقة التي بادلها اياها بثقة .. لكن متى ؟ بعد فوات الاوان ، فالمرض لم يمهله كثيرا حتى قضى عليه .

وها هي الان .. تشارك امها بيتا حزينا .. ينقصه سعال الرجل وصوته الاجش .. تركت عملها نهائيا لتستقبل حياة جديدة .

ثم تنهدت .. يا لها من صور .. تلك التي استعادتها .. القطار يقترب من المحطة .. ضجيج الركاب يعلو ويصخب .. تفتح حقيبة يدها وتمسك بالمرآة الصغيرة لتستوثق من اناقتها وان غبار الطريق لم يتلف شيئا من زينتها . وتسير في طريقها اليه .. الى نبيل ، لكن الصور في هذه المرة تتخذ شكلا اخر .. انها تذكرها بلوعتها وكمدها وانها هي الصادقة الامينة المخلصة في حبها .. لم تجد في صدر حبيبها شيئا ... احاديثه عذبةطلية لكنها تريد الشيء الاخر .. هذا الجمال تمنت ان يصدر من قلبه لا من لسانه .. ليست مثله .. تجيد فن الحديث بحلاوته وتنميقه .. فهي بسيطة تستطيع

ان تقول له بسـاجة .. لماذا لا تفتح قلبك كله على مصراعيه لادخله واكتشف ما فيه ؟ انني اطلعك على كل خبايا نفسي .. ماذا اكلت اليوم وما الذي سأشتريه وما الذي انفقه وما الذي سأدخره وصديقتي هذه تقول لي هذا الكلام وخالي ينصحني بكلمات جوفاء لا معنى لها .

اما انت فلا تفعل شيئا الا ان تطري جمالي .. هذا الذي سيزول في يوم من الايام فلا تجد شيئا تحدثني عنه ..

انها تتخيله يكرر لها نفس الابتسامات ونفس التعليقات .

وسرعان .. سرعان ما تشاهده عن بعد .. يجلس في شرفة الكازينو الذي تواعدا على اللقاء فيه .

النظارة القاتمة تملأ وجهه فلا يبقى من ملامحه الا جزء من الانف والحواجب .. اما فمه وجبهته فهي تراهما بوضوح ..

تمشي بخطى متئدة وتحس بخفقان قلبها .. هذا القلب عذبها واضناها واسلمها – ليالي كثيرة – الى ارق لا دواء له .

تصنعت الرزانة وقالت : كيف حالك ؟

يمد اليها كلتا يديه .. مسلما ويقول : كم افتقدتك يا هبة ؟

تريد ان تستوضحه قائلة : لماذا لم تسأل عني وانا امرض والدي مع انك تعرف بيتي ؟

تسترد نفسها وتجيب : شكرا .

يتامل محياها الجميل ويقول : كنت اظنك لن تحضري فقد تأخرت كثيرا ..

وتقول لنفسها : لعلك تفوقت علي في ذلك التأخير ..

يمد يده ليمسك اصابعها ... وعندما تحس بالتيار الكهربائي يرتجف بدنها وتتمالك نفسها فتمسك حقيبتها تعبث بها . بدورها تتأمله ثم تعقب لنفسها : لست اوسم الرجال ولا انقهم ولا اخلصهم ... لماذا احببتك كل هذا الحب لماذا .. لماذا ؟

يراقب صمتها ولا يدري بلواعج نفسها فيبدأحديثه الحلو قائلا :ثلاث سنوات وانا انتظر تلك اللحظة .

تحس هي بقوتها .. التي استمدتها من دعوات امها واعترافات ابيها .. فترفع راسها وتغتصب ابتسامة .. ثم تسلم نفسها الى صمت جديد .

يعاود غزوه .. ما اجملك يا هبة .. ما اجملك .

وفي الحال تتذكر حديث ابيها الطاعن في اوله .. الواضح في اخره .

لقد فتح لها مغاليق قلبه وقال : اعرف يا ابنتي انك تحبين زميلا لك بالشركة اسمه نبيل زميلكما الاخر رؤوف اطلعني على اشياء كثيرة .. انه كأبني فقد كان والده .. رفيق طفولتي لكنك لا تعلمين .. وان علمت لا تريدين ان تدركي .. نحن هكذا نخدع انفسنا لاننا نريد ان نحطم ما صنعناه بايدينا لقد ابتدعت لنفسك نموذجا رائعا لفتى احلامك وتصورتيه في نبيل ومما ساعد على انماء خيالاتك رقته .. التي تحمل في طياتها الخداع .. والنفاق هذا الشاب يلاحق النساء الثريات يعرف انك وحيدتي وان لي مدخرات كثيرة وطالما انا على قيد الحياة لن تملكي شيئا .. انه ينتظر موتي .. لقد سأل عن كل صغيرة وكبيرة مما سيؤول اليك واسر بكل ذلك الى رؤوف ليس هذا فحسب ..فقد سبقك الى اخريات – واستعدي لهذه المفاجاة – تزوج بعضهن وخدع وزور واستولى .. الان .. اخنقي قلبك يا هبة ولا تهبيه لهذا الافاق .. كل صراعي وجهادي .. كان من اجلك ولم تبق لي كلمة الا .. سامحيني ، لكن صوني ثروتي وهبيها لمن يستحقها ..

تعيد تأملاتها الى وجه الحبيب الناعم وتقول : ماذا كنت تقول يا نبيل ؟

يسمع نبرة جديدة في صوتها فيصغي اليها ويتعجب لكنه يقول : الم يحن الوقت كي نتزوج ؟

الا تذكرين وعدي ؟

تلملم افكارها ثم تدفعها مرة واحدة وتقول : في فترة فراقنا .. لماذا لم تسأل عني وعن مرض والدي والاسباب التي دفعتني لاترك الشركة – ثم ترفع يدها – بالله عليك لا تقل انك كنت مشغولا .. فكل انسان يعمل .. له اوقات عمل وفراغ .

اريد ان اهمس لك بكلمة اخيرة .. هذه الفترة التي تغيبت فيهاعنك غسلت قلبي .. وشفتني وعرفتني من انت ؟ لعلني الخامسة التي اقتحمت حياتك .. اليس كذلك ؟

نعم ورثت يا عزيزي ثروة طائلة لكنك لن تقاسمني اياها .. لانك مخادع .. منافق .

ويروع الشاب فيسألها مبهور الانفاس : ما الذي دهاك ؟ ما هذه الاتهامات ؟ هل جننت ؟

... ثم يرجع ثانية لنعومته – هل نسيت غرامنا .. وعدنا .. الم اهبك الحب ؟

وتجيب : نعم اهديتني اياه باقات باقات ..

والان لم يعد لدي ما اقوله .. يؤسفني ان اخيب ظنك فأصبح في فترة وجيزة متيقظة شافية من حبك .. ثم تدير له ظهرها خافية ما في قلبها من لوعة وما في نفسها من مرارة وما في عينيها من دمع محتبس ..

تسير .. وتسمع اسمها يردده صوت منسحق

هبة .. هبة .. هبة .

**القاهرة** **هدى جاد**

# قلعة الحصن

☆ ☆ ☆

رفعت دعائمها بصدق يقين    وتأشبت اسوارها كعرين
ربضت باعلى ذروة وتوطدت    اركانها فوق الذرى بمكين
قامت على راس الجبال كأنها    تاج الفخار يشع فوق جبين
وسمت مشارفها تشير الى السهى    شأن القرين ملوحا لقرين
وتكاد تلمس ذيل كل سحابة    عرضت لها وتهزها بيمين
في كل ركن دونها وقف الردى    متشوفا لضحية بحنين
نشرت بيارقها كأن سفينة    راياتها نشرت حذار كمين
مخرت مصفقة الشراع وزمجرت    مجنونة في عاصف مجنون

* * *

احجارها التاريخ قام محدثا    بلسان صدق كالنهار مبين
يروي جلال مآثر لمسائل    في منطق حلو البيان امين
تلقاه آونة يفيض بشرحه    وتراه يوجز تارة كضنين
ان طال اشفى في الصدور حزازة    مكبوتة واتى بكل ثمين
واذا بمختصر جرت الفاظه    جرت البلاغة دونه بمعين
ومن العجائب لم يكن اسهابه    غير الاشارة عن اسى وشجون
ما ينطق التاريخ ليس بمنطو    والقول يطوي لفوه كدفين
حصن اعارته المنية عينها    ومن الغرائب لم تحط بجفون
يستطلع القدر المحيق كأنه    عين لعراف كثير ظنون
او انه عين العصور تشوفت    لوساوس عرضت وبرح انين
تجري الليالى دونه وكأنها    سحب طواها عاصف بيمين
وجحافل الايام ومضة بارق    عصفت وقرت بعدها لسكون
حصن تسامى عاليا كمعشش    لجوارح في عارض مسنون
شاخ الزمان حياله وشبابه    فلق الصباح يشب ملء عيون

* * *

وسعت مدارجها القرون ولم تضق    ساحاتها يوما بكر قرون
وتشابهت ايامها حتى غدت    غرر الضحى في عينها كدجون
صبرت على شظف الزمان ومره    كبرا ولم تطرق براس حزين
واستعصمت بسكوتها من عزة    والدمع ملء اضالع وجفون
ولرب صمت من شجي موجع    جمع البيان وشف عن مكنون
صمت الكئيب ينال من نفس الفتى    ما لا ينال مفرد بلحون

**دمشق**    **عدنان مردم بك**

من اعمال الحلقة الدراسية في اسهام علماء العرب في العلوم النفسية والاجتماعية ( الجامعة الاميركية ببيروت - ديسمبر سنة ١٩٦٣ )

# الدراسات السيكولوجية في مصر


بقلم الدكتور يوسف مراد

دكتوراه الدولة في الآداب من السربون
استاذ علم النفس بجامعة القاهرة سابقا


* * *



الدراسات النفسية في مصر المعاصرة ( ١٨٧٥ - ١٩٦٣ ) نشطت في السنوات الاخيرة نشاطا ملحوظا ، واتسعت ميادين تطبيقاتها في التربية وفي الاختيار والتوجيه المهني وفي الارشاد النفسي . ولكي نقدر بصورة دقيقة سرعة هذا التقدم ، ولكي نكشف عن مدى اسهام علماء النفس العرب في البحوث السيكولوجية ، يجدر بنا ان نعود الى اواخر القرن التاسع عشر واوائل هذا القرن ، وان نتتبع الخطوات الاولى التي مهدت السبيل للدراسات النفسية التجريبية وان نربط بينها وبين الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بالبلاد .

وبما ان علم النفس في صورته العلمية التجريبية لم ينشأ في اوربا ، وفي المانيا خاصة الا في منتصف القرن التاسع عشر ، فانه يصبح من المؤكد الا نجد للدراسات النفسية في الشرق العربي اثرا يذكر حتى بداية القرن العشرين . غير اننا سنحاول الاشارة الى الجهود الاولى التي بذلت لنقل بعض المعارف السيكولوجية الى القارىء العربي وادخال مبادىء هذا العلم في مناهج الدراسة في معاهد المعلمين .

وبما ان التسمية العربية التي نطلقها على هذا العلم الناشىء وهي « علم النفس » هي الترجمة الحرفية للفظة سيكولوجيا ، تثير اللبس في اذهان العامة فتجعلهم يخلطون بين الدراسات السيكولوجية وما يسمى بالبحوث الروحية ، فانه يجدر بنا ان نشير بايجاز الى المفهوم العلمي لعلم النفس وذلك بذكر الخطوات الاولى الرئيسية التي ادت الى نشأة علم النفس بوصفه علما تجريبيا . وبفضل هذا التوضيح سنغفل الاشارة الى كل ما يدخل في دائرة البحوث الروحية ، اذ انها لا تمت باية صلة الى البحوث السكولوجية العلمية ، وكل ما في الامر انها قد تكون موضوعا للبحث من حيث هي ظاهرة سلوكية تدخل في دائرة البحوث التي تتناول الخيالات والاوهام والهلوسات وعمليات الايحاء الذاتي والايحاء الجماعي وما اليها من الظواهر الذاتية (١)

يرى بعض مؤرخي علم النفس الحديث أن الدراسات السيكولوجية لم تدخل طورها العلمي التجريبي الا منذ عام ١٨٦٠ عندما نشر فخنر في مدينة ليبزج في المانيا كتابه « مبادىء السيكوفيزيقا » اي دراسة العلاقة الكمية بين المنبه والاحساس او كما يقول المؤلف « العلم الدقيق للعلاقات الوظيفية او علاقات التبعيةبين الجسم والعقل »(٢) وكان فيبر قد سبقه في دراسة العلاقة بين المنبه والاحساس غير ان فخنر هو الذي صاغ قوانين فيبر صياغة رياضية. والخطوة التالية في تدعيم الاسس التجريبية للدراسات النفسية حققها عالم الماني آخر هو فوندت « ١٨٣٢ - ١٩٢٠ » عندما انشأ في جامعة ليبزج اول معمل لعلم النفس التجريبي عام ١٨٧٩ . وقد اشار منذ عام ١٨٦٢ في كتابه عن نظرية الادراك الى منهجه في دراسة علم النفس اذ يقول ، ان علم النفس يبدأ بالاستبطان ولكنه يستعين بمنهجين مساعدين هما اجراء التجارب والتاريخ الطبيعي للجنس البشري (٣) . وهو اول من تحدث عن علم النفس التجريبي ، واكد بعكس ما كان يذهب اليه هربارت ان المنهج التجريبي قابل للتطبيق في الدراسات السيكولوجية . وقد اقام الدليل على ذلك في كتابه «علم النفس الفسيولوجي » ( ١٨٧٤) . ثم في سلسلة البحوث التجريبية التي اجراها هو وتلامذته في معمله والتي نشرت في مجلة « الدراسات الفلسفية » التي انشأها فوندت عام ١٨٨٣ وهي اول مجلة مخصصة لنشر البحوث السيكولوجية .

ذلك هو الاطار التاريخي الاول لنشأة علم النفس من حيث هو علم اخضاع دراسة الاحساس والادراك للمنهج التجريبي والتعبير عن النتائج بطريقة كمية ، ثم جاءت الدراسة التجريبية لعمليات الحفظ والتذكير مع ابنجهاوس ( ١٨٥٠ - ١٩٠٩ )وتطبيق منهج الاستبطان التجريبي على العمليات العقلية العليا في جامعة فرزبورج بالمانيا باشراف كولبيه ( ١٨٦٢ - ١٩١٦ ) . وقد قام بينيه في فرنسا وودورث في الولايات المتحدة الاميركية ببحوث مماثلة . ونشطت في فرنسا الدراسات في ميدان علم النفس المرضى مع شاركو وريبو وجانيه ، وفي انجلترا في مجال الفروق الفردية مع جولتن هذا فضلا عن

---

* نشرت الاديب في عدد يناير ١٩٦٤ « الدراسات النفسية في سورية » بقلم الدكتور فاخر عاقل . وعلى اثر نشر هذا البحث وردتنا عدة رسائل من القراء يطلبون فيها متابعة نشر سائر التقارير التي بحثت في الحلقة الدراسية المذكورة . ولما كان بحث الدكتور يوسف مراد من اهم ابحاث الحلقة فقد آثرنا نشره في هذا العدد رغم طوله الذي حال دون نشره في باب «جولة الاديب» . ومما يذكر ان الدكتور يوسف مراد تعذر عليه الحضور الى بيروت ، وقد القى ملخصا لهذا التقرير نيابة عنه الدكتور سيد بدوي استاذ الاجتماع بجامعة بيروت العربية .

الدراسات التي تناولت سيكولوجية الحيوان والطفل .
وعند انتهاء القرن التاسع عشر يكون علم النفس قد دعم اسسه العلمية التجريبية بانشاء المجلات والمعامل واصبح يدرس في الجامعات الاوروبية والاميركية بوصفه علما بحتا كسائر العلوم الاخرى ولم تبدأ حركة التطبيقات السيكولوجية الا في القرن العشرين (٤) .

اما في مصر فالمحاولات التي بذلت في عهد محمد علي لنقل العلوم الحديثة ونشرها كانت معظمها محصورة في دائرة التعليم المتخصص لخدمة الجيش ، فتعددت المدارس العسكرية . وكان الفرض الاساسي من انشاء مدارس الطب والصيدلة والولادة والطب البيطري والزراعة والهندسة تخريج الفنيين الذين تحتاج اليهم الالة العسكرية التي انشأها محمد علي (٥) وباستعراض الكتب التي ترجمها الشيخ رفاعة بك الطهطاوي وتلاميذه الذين تخرجوا في مدرسة الالسن ، يتضح لنا ان معظمها في الفنون الحربية والهندسة والطبية وبعض كتب الجغرافيا والتاريخ . اما العلوم الانسانية والفلسفة فكان حظها ضئيلا ، نذكر منها : (٦) .

كتاب قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر ، تأليف ديبنج وترجمه رفاعه بك ـ طبع سنة ١٢٤٩ هـ .

كتاب تاريخ قدماء الفلاسفة ، ترجمة رفاعة بك ، طبع سنة ١٢٥٢ هـ .

كتاب المنطق ، تاليف دي دومارسي ، ترجمة رفاعة بك طبع سنة ١٢٥٤ هـ .

كنز البراعة في مبادىء فن الفلسفة ، ترجمة خليل محمود ، طبع سنة ١٢٥٤ هـ .

تربية الاطفال ، تأليف كلوك بك ، ترجمة مصطفى رسمي الجركسي ، طبع سنة ١٢٦٠ هـ .

اما التعليم العام فكانت حالته سيئة ، فبخلاف الكتاتيب لم يكن في سنة ١٨٦٣ في القطر المصري سوى مدرسة ابتدائية ومدرسة تجهيزية ، واخذ التعليم العام ينشط الى حد ما بعد ان اعيد فتح ديوان المدارس في سنة ١٨٦٣ وبدأ الاهتمام بتعليم البنت فانشئت المدرسة السنية للبنات في سنة ١٨٦٧ ، ولاعداد المعلمين انشئت مدرسة للمعلمين باسم دار العلوم لتخريج معلمي اللغة العربية في سنة ١٨٧٢ ومدرسة المعلمين النورمال لمعلمي العلوم والرياضة والاداب سنة ١٨٨٠ ومدرسة المعلمين التوفيقية سنة ١٨٨٨ ومدرسة المعلمات السنية سنة ١٩٠٠ .

ولم يكن علم النفس من بين المواد التي كانت تدرس في دور المعلمين ، وحتى علم البيداجوجيا لم يبدأ بتدريسه الا منذ عام ١٨٨٦ ، ولم يظهر اسم علم النفس في المناهج الا سنة ١٩٠٦ ، ولكن كجزء من مواد التربية لا كعلم مستقل له ورقة اسئلة ودرجة خاصة في الامتحان فكانت اسئلته ودرجته تدخل ضمن اسئلة التربية وورقتها ، وكان نصيبه في خطة الدراسة ضئيلا جدا لا يتعدى درسا اسبوعيا واحدا في السنتين الاخيرتين (٧) .

وقبل ان ننتقل الى تطور الدراسات النفسية في القرن العشرين ، نتوقف قليلا لالقاء نظرة على بعض ما نشر في الربع الاخير من القرن التاسع عشر في مجالي التربية وعلم النفس .

واول كتاب يسترعي نظرنا هو : « كتاب المرشد الامين للبنات والبنين » تاليف رفاعة بك رافع الطهطاوي ، الطبعة الاولى بمطبعة المدارس الملكية ، سنة ١٢٨٩ هـ ١٨٧٥ م ، وعدد صفحاته ٣٩٥ ، ويحتوي الكتاب على مقدمة وسبعة ابواب وخاتمة تتناول الموضوعات الاتية :

مقدمة في بيان تربية الاطفال من الذكور والاناث وفيها اربعة فصول .

الباب الرابع في ذكر الوطن وتمدينه وبيان اعظم المخلوقات وبيان فضائل الذكور والاناث وفيه ستة فصول .

الباب الثاني في الصفات المشتركة بين الذكور والاناث والمخصوصة باحد الفريقين وفيه اربعة فصول .

الباب الثالث في التعلم والتعليم وفيه تسعة فصول .

الباب الرابع في ذكر الوطن وتمدينه وبيان اعظم اسباب ذلك التربيه والتعليم واستكمال المعارف والتصميم وفيه سبعة فصول .

الباب الخامس في الزواج والتسري وما يتعلق بذلك ، وفيه ثمانية فصول .

الباب السادس في اسباب عمارية البيوت والمنازل وما يترتب على حسن تربية النساء من الفضائل وفيه خمسة فصول .

الباب السابع في عموم القرابة وحقوق بعضهم على بعض ، وفيه اربعة فصول .

خاتمة حسنى فيما يتعلق بحفظ الصحة التي هي للانسان اعظم منحة وفي شذرة من كلامه صلى الله عليه وسلم .

يتضح لقارىء هذا الكتاب ان مؤلفه لم يكتف بذكر اخبار الاقدمين وارائهم في طبيعة الانسان وآداب النفس والشريعة ، بل اعتمد من حين الى اخر على ما حصله من معارف اثناء اقامته بباريس وبفضل ما ترجمه من كتب . فهو يرى ان التربية تنقسم الى قسمين ، حسية ومعنوية وان لتغذية الطفل ثلاثة انواع من الغذاء مختلفة الموضوع ، تغذية الجسم ، ثم التغذية المعنوية بالارشاد والتاديب والتهذيب ، ثم التغذية العقلية بتعليم المعارف والكمالات .

ورايه في العلاقة بين التربية والذكاء متفق مع حقائق علم النفس التربوي ، اذ يقول « ثم أن التربية لاتفيد الصبي الذكاء ولا الالمعية فان هذه الصفات هي في الاطفال غريزية طبيعية وانما بالتربية تنمو العقول وتتحسن الادراكات فاذا ربى المربي عدة اطفال مختلفين في الذكاء

متحدين في التربية لا يقدر المربي أن يتوصل الى تسويتهم في الذكاء بل يختلف ذكاؤهم باختلاف استعدادهم الفريزي ص ٢ ثم يقول : « الفرض من التربية تنمية الصغير جسدا وروحا واخلاقا في ان واحد يعني تنمية حسياته ومعنوياته بقدر قابليته واستعداده » . ص ٣ .

ويؤكد رفاعه بك ضرورة قيام الام نفسها بتربية اولادها ، وينصح بان تكون تربيه الاولاد على حسب احوال البلاد ، اي اذا كانت زراعيه او تجاريه او بحريه ولكن بالاضافة الى هذه الخصوصيات يجب ان « تلاحظ المعارف العمومية التي تشترك فيها الامم والملل » . ص ٧ .

ويبدي المؤلف اعجابه بنظام التربيه لدى اليونان فيصف تربيه الاطفال عندهم ويقول بلزوم تعميم التربية كما كان يفعله حكماء اليونان قديما ويرى ان « السبب الاعظم في كثرة فحول الرجال وكبراء الابطال في بلاد اليونان في ايام جاهليتهم انما هو كان بعد احسانهم تربية الاطفال » ص ١٦ .

والواقع ان قراءة هذا الكتاب ممتعة حقا فموضوعاته متنوعة وهي ليست محصورة في دائرة التربيه ، فبعضها يدخل في نطاق علم النفس العام عندما يميز المؤلف بين « حقيقة الانسان من حيث ناطقيته وسائر الحيوانات » ، ثم في علم النفس الفارق في دراسته للفروق بين الذكور والاناث ، ثم علم النفس التعليمي وهو موضوع الباب الثالث في التعلم والتعليم ، ولا يفوتنا هنا ان نشير الى ان رفاعة بك هو اول من دعا الى العناية بتعليم البنات وقد عالج هذا الموضوع في الفصل الثالث وهو « في تشريك البنات مع الصبيان في التعلم والتعليم وكسب العرفان » .

ويميز في الفصل السابع من هذا الباب الثالث بين الروح والعقل والقريحة . والروح هي اصل الحياة والحركة والاحساسات والادراكات والشهوات و « كنهها مغيب عن البشر لا يعرفون حقيقته ... وهي مشتملة على اصل فعال يحملها على العمل او الترك تبعا لما تدركه من الملايمة وهذا اصل الفعال هو الارادة التي تحمل على الاختيار فتختار ما يليق لها من اسباب السعادة ما تظنه كذلك » . اما العقل والقريحة فهما من «متعلقات الروح»

وتعريف رفاعة بك للعقل يذكرنا بتعريف سبيرمان للعامل العام في حديثه عن الذكاء والعقل قوة تدرك جميع العلاقات والمباينات ، « وبقدر ادراك الانسان النسب والعلائق بين الكائنات التي حوله تكون جودة عقله على حسب قوة هذا الادراك »ص ٨٤ . واذا كان العقل « حادا ذكيا متوقدا يخترع ويبتدع كان قريحة .. وقد يتصف الانسان بسعة العقل ولا يكون متصفا بالقريحة اذ كل منهما ممتاز عن الاخر لان القريحة دائما نشطة شغالة فعالة ولادة متصورة بخلاف العقل ولو متسعا » ص ٨٥

« فالقريحة اذا هي القدرة على الخلق والابداع و « الجمع بين اطراف التصورات والتصديقات المتفرقه » ، ويؤكد المؤلف ان نتائج القريحة تكون عن ارادة واختيار لا بالصدفه والاتفاق .

وبقية ابواب الكتاب تتناول التربية الوطنية ثم سيكولوجيه التوافق في الزواج والحياة داخل الاسرة .

والكتاب الثاني الجدير بالذكر خاص ايضا بالتربيه ، وهو كتاب البيداجوجيا العلمية اي هدايه الاطفال تاليف الشيخ حسن توفيق ، مدرس اللغة العربية في المدرسة الشرقية ببرلين ، جزءان ، ٦٦ ، ١٥٤ ص ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٨٩١ — ٩٢ ، وقد اعيد طبعه وظهرت الطبعة السادسة في سنة ١٩٢٥ .

وموضوع الجزء الاول فن التربية العلمية ، وينقسم ثلاثة اقسام ، علم الجسم ، علم النفس ، علم الاخلاق . ويشمل القسم الثاني الخاص بعلم النفس اربعة ابواب :

١ — في النفس ونسبتها الى الجسم . ٢ — في التصور النفساني ، التفكير ، التذكر ، التخيل ، التنبه — تذييل في الانا والنحن . ٣ — في الاحساس النفساني ، الاحساسات الصورية ، الاحساسات المادية . ٤ — في الطمع والارادة النفسانيين . خاتمة ، في ملحوظات في نشاة الطفل من حيث الجسم والنفس .

يلاحظ ان بعض المصطلحات غير دقيقة ، فلا وجود لاحساس صوري بحت او لاحساس مادي بحت ، والمقصود هو التفرقة بين « عاطفة » و « احساس » ،اذ ان مثير العاطفة المباشر ليس المنبه الحسي الخارجي بل تصور ذهني ، في حين ان المثير المباشر للاحساس هو المنبه المادي . ومما هو جدير بالذكر اننا نجد نواة لموضوع هام من موضوعات علم النفس الاجتماعي عندما يتحدث المؤلف عن الانا والنحن ، كما انه يجب الاشارة الى الملحوظات في نشأة الطفل من حيث الجسم والنفس ابتداء من سن السادسة وهي سن دخول المدرسة .

اما موضوع الجزء الثاني فهو في فن التربية العملية ، فيتحدث اولا في طرق التعليم العام ثم يتناول طرق التعليم الخاصة بكل علم من العلوم الاتية ، علم الدين ، اللغة الوطنية ، التاريخ ، الجغرافيا ، الطبيعيات ، الحساب الهندسة ، الرسم واخيرا الرياضة البدنية . ثم تذييل في لعب لاطفال .

اما اول كتاب يحمل اسم علم النفس ويعالج موضوعاته مستقلة عن تطبيقاتها التربوية فهو « كتاب علم النفس للشيخ محمد شريف سليم » . وقد الفه صاحبه في سنة ١٨٩٥ ، ولكن الكتاب لم يطبع الا عام ١٩١١ عندما تقرر تدريسه لمدارس المعلمين والمعلمات . ويحتوي الكتاب على تسعة عشر فصلا ترتيب موادها شبيه بما نجده في كتب علم النفس المدرسية « التقليدية » . فيبدأ بالتحدث عن

القوة الطبيعية والاحساسية والفكرية . ثم ينتقل من دراسة الشعور الى الادراك الى الحفظ والتذكر وتداعي المعاني ، ثم الى الخيال وانتزاع المعاني وتعميمها والحكم والتعقل ، اي من العمليات العقلية الاولية الى العمليات العقلية العليا . ثم يأتي الجزء الخاص بالوجدان والميول والعواطف ، ويسميها الشيم ، واخيرا الارادة والعادة والاختيار . وفي عام ١٩٠٠ نشر كتاب « المباحث الحكمية في احوال النفس وتربية القوة العقلية ١٤٠ ص تأليف محمد رافت نصار الحائز لقب بروفسور من كلية برلين » وهو يحتوي على ثلاثة ابواب ، الباب الاول في المعرفة ، والباب الثاني في الاحساس ، وهو يقصد الحالات الوجدانية من لذة والم والميل الى الشيء او عدم الميل اليه ، رغبة او نفور . والباب الثالث في الارادة والحركات وعلاقة الارادة بالشهوات .

وتستند معالجة موضوعات الكتاب الى المنهج الاستبطاني ويلاحظ تأثير الفلسفة الالمانية في بعض الفصول مثل « اهمية التعقل بالنسبة لادراك العالم الخارجي وبيان ما قاله الفيلسوف كنت في هذا المقام » .

### نشر الوعي العلمي في الدراسات النفسية

نلاحظ انه حتى بداية القرن العشرين لا نجد فيما نشر من كتب علم النفس والتربية اي اشارة الى البحوث الحديثة ، كما ان النزعة السائدة كانت ادبية وفلسفية دينية . غير ان هناك محاولات بذلت بتقديم بعض موضوعات علم النفس الحديث في اطار علمي وفي جو من النقد المدعم بالاسانيد التجريبية والعقلية . ونحن نقصد المقالات التي نشرت في مجلة المقتطف منذ انشائها في بيروت عام ١٨٧٦ ، ومعظمها بقلم منشىء المقتطف ، يعقوب صروف وفارس نمر . وفيما يلي اشارة على سبيل المثال الى بعض هذه المقالات واهم ما جاء فيها .

ففي عدد يوليو ١٨٨٢ مقالة عن « التخيلات والخيالات واسبابها » والمقصود بالتخيلات الخداعات الحسية نتيجة خلل في الحواس ، وبالخيالات تخيل محسوسات لا وجود لها لعلة في الدماغ . واسباب التخيلات والخيالات اختلال في كيفية الدم او كميته الدائر في الدماغ وخاصة في السريرين البصريين .

وفي مجلد السنة الثالثة ( ١٨٨٣ — ٨٤ ) اربع مقالات عن الذاكرة . ويقابل الكاتب بين تعريف الاقدمين للذاكرة وتعريف المحدثين لها . فالذاكرة حسب التعريف التقليدي هي « قوة من قوى النفس تذكر ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتحفظه » . اما في علم النفس الحديث فالذاكرة « قوة بها تسترجع النفس ما ادركته من المعاني وصور المحسوسات وبها تعلم انها قد ادركته قبل ذلك » ( ص ١٩٤ ) . والعلم بسابق الادراك شرط أساسي للتمييز بين التذكر ومجرد التخيل . وأهم الموضوعات التي تناولتها هذه المقالات الاربع هي ، علاقة الذاكرة بالوظائف الفسيولوجية ، وصف عمليات الذاكرة ، اضطرابات الذاكرة وامراضها ومنها « الافازيا » وهي فقدان القدرة على فهم اللغة واستخدامها ثم وسائل تقوية الذاكرة .

وفي عدد يناير ١٨٨٥ ، مقالة عن العقل ومقره من الجسد ، جاء فيها انه لا توجد علاقة بين ادراك الحيوان وثقل دماغه النسبي، اما مقر العقل فهو الجسم السنجابي، « اذ ان نقله المطلق والنسبي هو في الانسان اكثر منه في غيره من كل انواع الحيوان ، فبين العقل والجسم السنجابي نسبة ثابتة » ( ص ١٩٨ ) .

وفي عدد يوليو ١٨٨٥ ، وكانت ادارة المقتطف قد انتقلت من بيروت الى القاهرة ، مقالة بعنوان « كم ذاكرة لك » . ونتيجة البحث بان « الذاكرة ليست قوة واحدة بل انها مجتمع قوات كثيرة مختلفة وضعا وطبعا » ( ص ٦١٢ ) لا تزال متفقة مع الدراسات الحديثة .

وفي عددي يونيو ويوليو ١٨٨٦ مقالان يتحدث الاول عن الفرينولوجيا وهو علم يزعم انه تعرف به قوى الانسان العقلية وامياله الادبية من شكل راسه الظاهر ... اما علم الفراسة الذي كتب فيه العرب واليونان من قبلهم فيشبه علم الفرينولوجيا من بعض الوجوه ولكنه اقرب الى علم الفسيوغنوميا . ثم يستعرض المقال وظائف الدماغ من الناحية النفسية وعددها ٣٥ ، كما ذكرها منشىء الفرينولوجيا ، الدكتور جال . أما المقال الثاني فعنوانه « فساد الفرينولوجيا » يوجه فيه الكاتب سبعة اعتراضات لعلم الفرينولوجيا المزعوم وذلك بالرجوع الى حقائق في تشريح الدماغ ودراسة وظائفه وعلاقة القوى النفسية بوزن الدماغ .

ويقف منشئا المقتطف موقفا نقديا صارما بصدد بعض الظواهر الغريبة التي عادة ما تدفع العامة الى تأويلها تأويلا خرافيا يتنافى مع الروح العلمية ونعني ما يدور حول التنويم المغناطيسي وجولان النائم ومناجاة الارواح . فقد جاء ذكر التنويم المغناطيسي اي الهبنوتيزم فيعدة مقالات نذكر منها الهبنوتم وذهول الادراك — اكتوبر ١٨٨٤ ، ص ١٧ — ١٩ . وجولان النائم — سبتمبر ١٨٨٦ ، ص ٧٠٥ — ٧١٠ . و النوم المغنطيسي — صحيحه وفاسده — فبراير ١٨٩٢ ، ص ٣٠٩ — ٣١٤ .

وهذه المقالة الاخيرة جديرة بأن تستوقفنا قليلا لاهميتها العلمية سواء من ناحية منهج العرض او النتائج . وقد جاء في مستهل المقالة ما يلي : « وقد كان من نصيب المقتطف من حين نشأته ان يقرر الحقائق وينفي الاباطيل، وكان في جملة الاباطيل التي اقترح عليها نفيها ما ينسب الى التنويم المغنطيسي من الخوارق والى اهله من معرفة

الغيب » ، ثم يعرض الكاتب ملخصا لمقالة للدكتور هارت الذي مارس التنويم المغنطيسي اكثر من اربعين سنة وقد اثبت الدكتور هارت الحقائق الاتية : اولا ، لا يوجد سائل مغنطيسي (٨) . ثانيا ، لا يوجد اتصال روحي خفي بين عقل المنوم وارادة المنوم ، فيكفي المنوم ان يعتقد بان المنوم يريد تنويمه سواء كان المنوم مريدا لذلك او غير مريده . ثالثا ، اذا وقع المنوم تحت سلطة المنوم وضعفت ارادته فقد ينفذ اوامر المنوم في الوقت الذي حدده وقد يرتكب الجرائم التي يوحي بها اليه .

وجاء في عدد ابريل ١٨٩٢ في باب المناظرة والمراسلة، رسالة من مرقص حنا بالارسالية المصرية بباريس موضوعها: « التنويم المغناطيسي وعلاقته بالقوانين والمحاكم » ( ص ٤٧٣ – ٤٧٥ ) ، يتحدث فيها عن تاثير التنويم المغناطيسي في الدعاوي المدنيـــة وتأثيره في الدعاوي الجنـائية ، فيتساءل هل يجوز للمحاكم ان تستعمل التنويم لاكتشاف الحقيقة من المتهم او مشاركيه ، والجواب كلا ... لان قانون العقوبات يمنع استعمال الطرق التي تكون سببا في نزع حرية المتهم التي تخوله الدفاع التام، فلا يحق للمحاكم ان تنزع من المتهم حرية المدافعه عن نفسه ( ص ٤٧٤ ) ... فليس مـــن العدل الاعتماد على التنويم لتحقيـــــق الجنايات لانه قد يبرىء المذنب ويذنب البرىء ... ولا بد من مقاومته لانه يسهل الغش وشهادة الزور وارتكاب الجرائم ويزيد اتعاب المحاكم وقضاة التحقيق (ص ٤٧٥).

ومن الاباطيل التي حاربها المقتطف ما يعرف باستحضار الارواح . فقد نشر في عدد مارس ١٩٠٦ مقالة بعنوان « مناجاة الارواح ( ص ٢١٣ – ٢١٥ ) لتفنيد ادعاء مستحضري الارواح وبيان حيلهم في خداع الناس ، ومن الحقائق التي قررها « ان الوهم يتسلط على بعض الناس ولو كانوا من كبار العلماء حتى يصيروا ينخدعون بما لا ينخدع به غيرهم » .

وسنختم كلامنا عن المقتطف وعن الدور الهام الذي قام به في نشر اساليب التفكير العلمي وتوصيل كثير مـــن المعلومات السيكولوجية التجريبية الى القارىء العربي بذكر المقالة التي نشرت في عدد فبراير ١٩٠٦ عن ادراك الحيوان ( ص ١٣٦ – ١٣٩ ) ، في هذه المقالة وصف دقيق لتجارب العالم الاميركي ادورد تورنديك (١٨٧٤ – ١٩٤٩) على مجموعات من القطط والكلاب والدجاج توضع فـــي قفص بعد تجويعها ٢٤ ساعة والطعام في خارج القفـــص ويلاحظ سلوك الحيوان للخروج من القفص بفتح بابــه اما بسقاطة او زر او خيط او بها كلها معا . وفيما يختص بالدجاج كان يضعها في مكان محصور ويقيم حولهـــا الحواجز . ومن الفروق بـــين الحيوان والانسان « ان الحيوان لا يستطيع ان يحضر الماضي في مخيلته ولا ان ينظر الى المستقبل » .

ومن المحاولات التي بذلت لمحاربة الاباطيل والمعتقـدات الخرافية في مجال العلاج الطبي كتاب « طب الركة » (٩) تاليف عبد الرحمن اسماعيل ، احد المتخرجين في مدرسة القصر العيني ، الجزء الاول ١١٢ ص ، طبعه اولى ١٣١٠ هـ . / ١٨٩٣ م. والجزء الثاني ، ٤٥ ص ، طبع باسم مؤتمر المستشرقين العاشر الذي سليتئم في مدينة جنيفا في سبتمبر ١٨٩٤ .

وفي حديثه عن التمايم والاحجبة ، عن المربوط والزار وما اليها من الوصفات والاجراءات العلاجية والحالات الشاذة يؤكد المؤلف دور الوهم والايحاء الذاتي في احداث بعض الآثار الغريبة التي يعزوها التفكير الخرافي الـى الجن والعفاريت .

ولبيان تأثير « الوهم والانفعال العصبي النفسانـي » ذكر المؤلف بعض الامثلة منهـــا حالـة شاهدها بنفسه ، « كنت في اسبتالية القصر العيني ذات يوم في محـل اجراء العمليات اذ حضر شاب مريض بآفة لا تستدعـي العمل اكثر من عشر دقائق ولكنه وجل من ألم العمليه فلم يقبل الا بشرط ان يبنج فاحضرت آلة التخدير بالبنج وجعل المشتغل بذلك يوهمه انه اخذ مقدارا كبيرا منه وانه سيخدر تخديرا شديدا فلم يمض قليل من الزمن حتى نام نوما عميقا وفقد الشعور بالكلية كمن استنشق مقدارا عظيما من البنج مع ان الطبيب لم يشممه نقطة واحـدة منـه » . ( ص ٧ )

وفي مجال علـم النفس المرضى والطب العقلـي ، فبالاضافة الى مقالات المقتطف ، يجب ان نذكر الكتاب الذي كان يدرس لطلبة كلية الطب قبل ان يصبح التعليم في مدرسة الطب باللغة الانجليزية في عام ١٨٩٨ ، وهو كتاب « اسلوب الطبيب في فن المجاذيب » تاليف الدكتور سليمان نجاتي ، مدرس الامراض العقلية بمستشفـــى القصر العيني ، ١٦٢ ص ، ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م .

تلقى المؤلف علوم الطب في باريس ووضع كتابه فـي الطب العقلي وقام بتدريسه لطلبة القصر العيني ثم كـان يذهب مع الطلبة الى مستشفى المجاذيب في بعض ايـام خصوصية لاعطائهم الكلينكا على مرضى المستشفى .

ويقول المؤلف في المقدمة انه استخدم لفظ « جنون » لان معناه يعم فساد العقل ماديا كان او ادبيا ، مكتسبا او خلقيا ، عن يقين علم لا عن ظنون . ويقدم لنا تعريفا اوليا للجنون بانه تغير مخي ناشيء عن تكدر وظائف العضـو المذكور تكدرا ماديا ادبيا .

وفيما يلي بعض ما جاء في حديثه عن الفسيولوجيـا المرضية للجنون .

« درجة التعقل مرتبطـة بكبر وصغر المخ ويشترط مع كبره ان يكون رصينا اي متزايد الثقل وكثير التلافيف وبناء على ما ذكر يكون كثير الفتوة من الجوهر السنجابي

والخلايا العصبيـــة اذ بدون برايدها لا يتأتى تزايـــد المعقولية » . ( ص ١٠ ) .

« ان المخ متجانس التركيب فكل جزء من اجزائه متمتع بمجموع خصوصيات الكل ومن ذلك يتاتـــى التعويض الوظيفي بين عناصره . هذا راى بعضهم ويرى البعض انه غير متجانس التركيب ... » . وهنا يذكر مراكز الحركة والحواس المختلفة ( ص ١١ ) . والواقع أن مشكلة تركيب المخ شغلت علماء التشريح والفسيولوجيا منذ جـــال وفلورنس حتى يومنا هذا . والعالم فلورنس الذي حارب آراء جال صاحب نظرية الفرينولوجيا هو الذي اشار الى التعويض الوظيفي بين عناصر المخ ، غير انه لا يقول بان المخ متجانس التركيب ، بل يذهب الى ان للمخ وظائـف نوعية ووظائف عامة . فبجانب الفعل الخاص بكل جزء من اجزاء المخ ، يجمع هذه الاجزاء فعل مشترك .

وعلى كل حال فان المؤلف حريص على ذكر المشكـلات كما كانت تناقش في عصره . ثم يقـــول في ص ١٣ ، « والفرق بين نصفي المخ ( اليساري واليميني ) يفســر الهلوسة بأنواعها وحالة الازدواج الشخصي ونجد مثـل هذا الراي عند بيير جانيه وعند برجسون لتفسير بعـض اضطرابات الادراك والتذكر . ثم يذكر حقيقة هامة خاصة بالافعال المنعكسة العليا عندما يقول ، « المخ اسوة بالنخاع الشوكي متمتع بالفعل المنعكس او تبادل الفعل . الفعـل المنعكس الشوكي يحتاج في كل مرة الى تاثير جديد حتى يتم فيه التبادل الوظيفي بخلاف الاول فمتمتع بخاصية الحفظ وخاصية التذكر » . وهذه الافعال المنعكسة المخية القائمة على الحفظ والتذكر تشبه ما يعرف اليوم بالافعال المنعكسة الشرطية ، اي المكتسبة ، اي القائمة على الحفظ والتذكـر .

وبعد ان ينتهي المؤلف من عرض فسيولوجية الجنـون المرضية يقدم تعريفا اخر للجنون بانه « حالة غير طبيعية للعقل تتصف بتكدر كل من قوى الحس والعقل والارادة » .

وفي حديثه عن الاسباب على العموم يميز بين رتبتين ، اسباب مهيئة واسباب متممة . ثم يستعرض خطوات عمل الطبيب ، التشخيص ، المدة ، الانتهاء ، الانذار ، ثـــم المعالجة . والمعالجة تكون واقية او شافية . وتكون واقية باتباع شروط صحية من حيث التربية والمعاملة والتعـود والتهذيب بالنسبة الى الاطفال . ومن انواع المعالجـات الشافية المعالجة الادبية او المعنوية منها العزلة ، حســن المعاملة ، تشغيل المرضى باشغال متنوعة غير متعبة .

وعندما يتناول تصنيف انواع الجنون فانه يقسمهـــا اربعة اقسام : القسم الاول ـ الجنون الغير معـــروف التغيرات المرضية لحد الان وتحته الجنون الدائري وانواع الهذيان الجزئي ( مثل التعذيب ، الجنون الدياني ، جنون الشك ، مانيا المشروبات الروحية ) والمانيا والماليخوليا . القسم الثاني ـ الجنون النيفروزي وتحته الاستيـري والصرعى والخورى . القسم الثالث ـ الجنون الدياتيزي ، الجنون النقرسي ، والروماتيزمي والدرني والسرطانـي والزهري . القسم الرابع ـ الجنون الخلقي ، بساطـة العقل او ضعفه وسخافته والبله والكريتينسم والجنون الفوتـــري .

يلاحظ على هذا التصنيف ان المؤلف لم يشر فـــي امراض القسم الاول الخاص بما نسميه اليوم حـــالات الذهان الوظيفي ، الى الجنون المبكر وهذا امر طبيعي ، اذ ان تاريخ نشر الكتاب سابق على البحوث التي قام بهـا كريبلين فيمـا بين ١٨٩٣ و ١٨٩٩ والتي ادت الى تقديم صورة تاليفية لمختلف البحوث التي دارت حول اهم اعراض هذا المرض والتي اشار اليها في كتابه الاول في الطـب العقلي المنشور عام ١٨٨٣ ومن المرجح ان الدكتور سليمان نجاتي لم يطلع على كتاب كريبلين وان كان مطلعا على اهـم المحاولات التي بذلت قبل كريبلين لتوضيح معالم الجنون المبكر مثل بحوث اسكيرول وموريل وكالبوم .

ويلاحظ كذلك انه يذكر ضمن ما يسميه الجنـــون النفروزي الجنون الصرعي . وهذا فعلا ما كان متبعا في اواخر القرن التاسع عشر ، ثم فصل الصرع عن مجموعة امراض العصاب عندما تبين ان الصرع عضوي النشأة لا نفسيها . والمقصود بالجنون الخوري هو على الارجـــح النوريستانيا لا السيكستانيا وهو العصاب الذي شخصه بيير جانيه لان اللفظ الجديد لا ينتشر استعماله الا فـــي اوائل القرن العشرين . والمحاولة التي قام بها الدكتـــور سليمان نجاتي لتقديم مادة الطب العقلي الحديث باللغـة العربية جديرة بكل ثناء لانها كانت المحاولة الاولى والاخيرة حتى اليوم وذلك نظرا لالغاء التدريس باللغة العربية في مدرسة الطب ، فأصبح التعليم بالانجليزية منذ ١٨٩٨ . وكل ما نشر في الطب العقلي حتى اليوم بحوث جزئية في الامراض النفسية والعقلية وفي وسائل الوقاية والصحـة النفسية كما سنرى فيما بعد .

وقد ظل تدريس علم النفس في مدرسة المعلمـــــين الخديوية ودار العلوم ومدرسة المعلمات السنية مجرد تمهيد لتدريس اصول التربية العلمية والعملية . وهذا واضـح من الكتب التي ظهرت في الربع الاول من هذا القـرن . وكان يقوم بتدريس علم النفس مع التربيـــة مدرسون مصريون غير مختصين يحملون شهادة مدرس ابتدائي من انجلترا ، امثال علي عمر صاحب كتاب « هداية المدرس » والشيخ محمد شريف سليم ، مؤلف كتاب « علم النفس » الذي سبق ذكره ، والشيخ محمد حسنـــين الغمراوي ، صاحب كتاب « الغرائز وعلاقاتها بالتربية » . ثم تولى التدريس بعدئذ في المعلمين الخديوية والمعلمات السنيـة اساتذة انجليز غير مختصين وكان الكتاب المقرر : «احاديث

الى المعلمين عن علم النفس بقلم ستانلي هول » . وتولاه في دار العلوم اساتذة من خريجي الدار الحاصلين على دبلوم في التربية من كلية اكستر بانجلترا امثال مصطفى امين وعلي الجارم مؤلفي كتاب « علم النفس وآثاره في التربية والتعليم » . ثم تولى التدريس في المعلمين العليا اساتذة من خريجيها الذين حصلوا على درجة بكالوريوس من انجلترا كاسماعيل محمود القباني وامين مرسى قنديل مؤلف كتاب «اصول علم النفس واثره في التربية والتعليم» .

ونلاحظ في هذه الكتب ظهور نظرية الفرائز كما قال بها مكدوجل غير ان عرضها جاء سطحيا واحيانا مشوها . فكتاب الغمراوي في الغرائز وعلاقتها بالتربية ( ٢٤٣ ص، ط ٤ ، ١٩٢٥ ) يحتوي على اربعة مباحث :

المبحث الاول : الغريزة والعقل ـ المبحث الثاني : المخ وخلاياه وعلاقتها بالتعليم . المبحث الثالث في موضوعات شتى في علم النفس مثل التعليم والملاحظة ، والحفظ والذكر والخيال والعقل والوجدان وتداعي المعاني والميول والعوامل المؤثرة في الاخلاق . اما المبحث الرابع فيبحث في الغرائز وانواعها ، ونلاحظ في هذا المبحث خلطا بين الغرائز والانفعالات فيتحدث المؤلف عن غريزة الغضب مثلا . والكتاب بوجه عام خليط من المعلومات المبسطة ومن الحكم والنصائح والقطع الادبية . ولا يوجد اي ذكر لمرجع ما .

ويحتوي كتاب مصطفى امين وعلي الجارم « علم النفس وآثاره في التربية والتعليم » ( ٢٨١ ص ـ ط اولى ١٩١٥ ) على فصل طويل في الغرائز وقد ذكر آراء بعض علماء النفس دون ذكر المراجع . نجد ان هذه الآراء مذكورة لذاتها دون الربط بينها ودون اعادة صياغتها داخل اطار واحد من التفسير . فقد جاء مثلا في صفحة ٦٥ في الحديث عن الغرائز : « ولقد حلل الاستاذ لوب عددا كثيرا من الغرائز واثبت ان كل واحدة منها مكونة من حركات منعكسة ، ومن المرجح ان كل الغرائز كذلك » وكان في امكان المؤلفين مناقشة هذا الراي في ضوء نظرية مكدوجل مثلا او في ضوء التجارب التي اجراها العالم الاميركي جننجز للرد على نظرية لوب .

ثم يرد ذكر جيمس ونظريته في الغرائز والانفعالات . ويجب ان نذكر هنا ان الخلط الذي وقع فيه المؤلفين في مصر بين الغريزة والانفعال يرجع الى جيمس نفسه اذ نراه يتحدث طويلا عن غريزة الخوف في الفصل الخامس والعشرين من كتابه « موجز في علم النفس » غير ان وليم جيمس يشرح لنا سبب هذا الخلط ، وهذا ما لا تجده في الكتب العربية . ففي مطلع الفصل الرابع والعشرين وموضوعه « الانفعال » يتحدث وليم جيمس عن العلاقة بين الانفعال والغريزة ، اي بين جانب الشعور والوجدان من جهة وبين جانب النشاط الحركي والسلوك من جهة اخرى ولكن الجانب الذي يمكن مشاهدته ودراسته تجريبيا هو الجانب السلوكي ، اي التعبيرات الجسمية فالمهمة الرئيسية هي تفسير المظاهر السلوكية سواء اطلقنا على الخوف باسم الانفعال او الغريزة . وبهذا الموقف يمهد وليم جيمس بدون ادنى شك للمدرسة السلوكية على الرغم من اعتماده الكبير على الاستبطان في وضعه الرائع لمجرى الشعور .

هذا الاتجاه السلبي ازاء النظريات المختلفة هو الطابع السائد لكتب علم النفس التي نشرت في الربع الاول من هذا القرن وقد انتقلت مادة هذه الكتب الى الكتب المختصرة التي وضعها مدرسو الفلسفة في المدارس الثانوية عندما بدىء بتدريس علم النفس والمنطق في عام ١٩٣٣ ، وهذه الكتب ليست جديرة بالذكر لانها مجرد تكرار لكتب سابقة ، وظلت متخلفة عن علم النفس كما كان يدرس في الجامعة مما خلق مشكلة تكيف الطلبة المستجدين في الجامعة للاسلوب الجديد لتدريس مادة علم النفس .

نجد ان كتاب امين مرسي قنديل « اصول علم النفس واثره في التربية والتعليم » جزءان ٣٦٨ ، ٢٣١ ط ٢٤ سنة ١٩٢٩ ـ يمتاز بشمول موضوعاته وبمعالجتها بصورة واضحة حية ومناقشة الآراء المختلفة مدعمة بنصوص مع ذكر المراجع . ومما يسترعي الانتباه هو عدم اكتفاء المؤلف بالمراجع الانجليزية وذكره لكثير من الفرنسية . ولاول مرة نجد عرضا منظما في فصول مستقلة للجهاز العصبي ( من ص ١٠٧ الى ١٥٧ ) ولموضوع اللاشعور ، والتعب ، والذكاء وقياسه ، ونجد طبعا فصلا طويلا عن الفرائز ( من ص ١٥٨ الى ٢٣١ ) .

ومن الكتب المدرسية الكبرى في علم النفس كتاب في ثلاثة اجزاء اشترك في تأليف الجزء الاول منه حامد عبد القادر ومحمد عطيه الابراشي ومحمد مظهر سعيد . اما الجزآن الثاني والثالث فمن تأليف حامد عبد القادر ومحمد عطية الابراشي . وسيطول بنا المقام لو شرعنا في ذكر جميع محتويات هذا الكتاب الشامل وسنكتفي بذكر الملحوظات الاتية :

يحوي الجزء الاول فصلا في المجموع العصبي ، ثلاثة فصول في الغرائز والنزعات العامة ، وتتناول الفصول الثلاثة الاخيرة : دراسة الطفولة ، والمراهقة والبلوغ ـ العقل الفردي والعقل الجمعي ـ ثم المامه بالتحليل النفسي، وربما هي المرة الاولى التي يرد فيها عرض موجز للتحليل النفسي في كتاب مدرسي .

وينافس الكتاب محاولة ارجاع السلوك الفريزي الى سلسلة افعال منعكسة « الفعل الفريزي اعلى مرتبة من الفعل المنعكس ... الانسان ليس ـ كما يقول الماديون « العوبة » في يد الظروف وتحركه كيف تشاء ، ولا آلة « تؤدي عملها بطريقة آلية كما يقول الآليون » .

وقد جاء في مقدمة الكتاب ان علم النفس كان مقصورا على مدارس المعلمين والمعلمات وكان يقتصر تطبيقه على ناحية التدريس فحسب ، بل درس بالقسم الادبي الثانوي وطلبة القسم الاعدادي من كلية الحقوق ، ولكن دراسته لا تتجاوز المبادىء العامة . ثم درس علم النفس بعد ذلك بشعب التخصص الملحقة بكليات الازهر وبكلية اصول الدين التي كتب هذا الكتاب بكليتها ولقد وعد مؤلفو الكتاب بكتابة كتاب في علم النفس التطبيقي . وفيما يختص بالناحية التطبيقية الخاصة بالاختبارات لم يشر مؤلفو الكتاب الى ضرورة اعداد فئة من الاخصائيين والنفسانيين للقيام بتطبيق الاختبارات وظنوا ان في امكان المدرسين والنظار القيام بهذا العمل فقد ورد النص التالي : « ولكي تسهل الاستفادة باستعمال هذه الاختبارات سنضعها ثم نشرح طريقة استعمال كل اختبار على حدة مع كيفية تقدير الدرجة حتى يتمكن المدرسون والنظار من استخدامها والانتفاع بها » .

اننا وصلنا الان الى ابواب مرحلة جديدة وهي التي تبدأ سنة ١٩٢٩ بانشاء معهد التربية وتخرج الدفعة الاولى من طلبة كلية الآداب قسم الفلسفة . ولكن لا بد اولا من الاشارة الى انشاء الجامعة المصرية الاهلية في ١٢ اكتوبر ١٩٠٦ . وقد استمرت حتى انشاء جامعة فؤاد الاول في ١٩٢٥ . وكانت الدراسة في الجامعة المصرية القديمة مقصورة على الآداب والتاريخ والفلسفة ، كما القيت فيها محاضرات في التربية وعلم النفس . فقد القت لبيبة هاشم ، صاحبة ومحررة مجلة فتاة الشرق ، في عام ١٩١١ عشر محاضرات في التربية ، كما القى في عام ١٩٢٢ — ٢٣ الاستاذ حسين رمزي « محاضرات نفسية تتضمن ابحاثا اولية لدراسة علم النفس » .

والاستاذ حسين رمزي وهو خريج مدرسة الحقوق الخديوية قد اوفدته الجامعة المصرية الى اوروبا سنة ١٩٠٩ الى جامعة فورينو بايطاليا . فتلقى فيها علم النفس وعلوم الامراض العقلية ، اسبابها وتشخيصها ومعالجتها وعلوما اخرى مرتبطة بها من الوجهة القضائية ثم تطبيق هذه العلوم على انواع المجرمين والجرائم . وبعد عودته من اوروبا قام بتدريس علم طبائع الانسان الجنائية في قسم العلوم الجنائية .

وقد نشرت مجلة القضاء الشرعي المحاضرات التي القاها في علم النفس خلال السنة الدراسية ١٩٢٢ — ٢٣ ( ٧٤ ص ) . وفي قائمة الكتاب يتحدث المؤلف عن حرية الفكر وعن التعصب ويعد التعصب دليلا على وجود مرض عقلي خفي لدى المتعصب . (١٠) « فالمتعصب اسير فكرة او عاطفة استبدت بسائر الافكار والعواطف ولا تتحمل المناقشة والبحث ولا تطيق ان تعيش بجانبها لحظة ما عاطفة او فكرة اخرى تخالفها خطأ كانت او صوابا » .

ومحاضرات الاستاذ حسين رمزي هي بمثابة مدخل الى دراسة علم النفس اذ ان موضوعاتها تتلخص في النقط الاربع الاتية : ١ — علم النفس والفلسفة ( ص ١٠ — ١٦ ) ٢ — الروح والنفس ( ١٧ — ٤٣ ) ٣ — تطور علم النفس ( ص ٤٤ — ٥٦ ) ٤ — تعريف علم النفس وموضوعه ومفاهيمه ( ٥٦ — ٧٤ ) .

والمراجع التي يذكرها المؤلف فرنسية وايطالية وكتابين المانيين مترجمين الى اللغة الفرنسية هما كتاب لوب في ديناميكية ظواهر الحياة وكتاب ابنجهاوس في علم النفس . ومعالجته لموضوعات الكتاب قريبة جدا مما نجده في الكتب المدرسية الفرنسية في الفلسفة وعلم النفس.

ولم ينهض تدريس علم النفس بحيث يدفع بدارسيه الى البحث والتأليف فيه بصورة شخصية اصيلة الا بعد انشاء معهد التربية وايفاد البعثات الى الخارج من خريجي مدرسة المعلمين العليا وما حل محلها بعد الغائها من معهد التربية وكلية الآداب للتخصص في علم النفس .

في ١٩ سبتمبر ١٩٢٩ صدر مرسوم بقانون يقضي بانشاء معهد تربية — للمعلمين وذلك بناء على التقرير الذي قدمه العالم السيكولوجي السويسري والخبير في التربية كلاباريد في مارس ١٩٢٩ عن انشاء معهد لعلوم التربية . (١١) .

واشترك اسماعيل القباني ( ١٨٩٨ — ١٩٦٣ ) في البحوث التي قام بها كلاباريد وعند انشاء المعهد عين استاذا للتربية التجريبية كما عين الاستاذ محمد مظهر سعيد استاذا لعلم النفس وكان قد عاد من انجلترا حيث كان موفدا منذ عام ١٩٢٥ للتخصص في الدراسة الجامعية لعلم النفس . وقد اهتم اسماعيل القباني بصفة خاصة باعداد الاختبارات لقياس الذكاء وتقنينها محليا واليه يرجع الفضل في خلق حركة القياس السيكولوجي وتكوين تلاميذ اكفاء .

ان فكرة القياس العقلي لم تكن جديدة في مصر عندما شرع اسماعيل القباني في اعداد الاختبارات ، غير انه هو اول من اقام هذه الدراسة على اسس علمية سليمة . وقد يكون من الطريف ان نذكر المحاولات الجزئية التي بذلت في هذا المجال . فلدينا اولا الكتيب الذي نشره احمد فكري عام ١٩٢٠ بعنوان « الطريقة المبتكرة لقياس العقول — قانون تقف به على درجة ذكاء الاطفال في كل من ادوار اعمارهم — ٣٤ ص — » وبه مقدمة تشرح النشأة النفسية للطفل وكيف يربى . وهو اول كتاب عربي ظهر من نوعه لا يستغني عنه والدون ومربون . ومن بين مراجع المؤلف كتب لكبار علماء النفس امثال ، برزوبينيه وثورنديك وسيرل بيرت ، غير انه من الواضح ان المؤلف لم يستفد البتة من المراجع التي ذكرها سوى انه ترجم بتصرف اختبار بينيه — سيمون من سن ٣ الى سن ١٢ ، وقدم

تعليمات مقتضبة وكان يعتقد خطأ ان المدرس دون تدريب سابق في امكانه تطبيق الاختبار والحكم على ذكاء الطفل . وقبل ذكر فقرات الاختبار اورد مقدمة غاية في الايجاز عن العقل لدى الطفل من السنة الاولى حتى العشرين وكل هذا في عشر صفحات من القطع الصغير .

ومن ص ٢٧ الى ٣٠ ذكر المؤلف اختبارات اخرى مثل اختبار التنقيط لمكدوجل لقياس « دقة الانتباه وضبط العضلات » ثم اختبار قوى الحفظ والذاكرة بواسطة جهاز العرض السريع . واخيرا اشار الى اكتشاف عجيب ، كما يقول ، وهو استعمال الكهرباء في « تحويل الاغبياء الى نجباء » .

وبعد عام ١٩٢٠ لم تعثر على اي بحث في اختبارات الذكاء حتى عام ١٩٢٧ عندما نشرت المقتطف في عدد اغسطس ١٩٢٧ ( ص ١٥٦ ـ ١٦٣ ) مقالة في « مقاييس الذكاء » ثم تلتها مجلة التربية الحديثة : « الاختبارات الذكاء بقلم الدكتور امير بقطر ، ابريل ١٩٢٨ ، عدد ٢٤ ص ٢٤٦ ـ ٢٥٦ .

وفي ١٩٢٨ نشر الدكتور حسن عمر كتابه « مقياس الذكاء » ( ط ٢ ، ٢٣١ ص ١٩٢٩ ) والمؤلف طبيب غير متخصص في علم النفس وما ذكره عن نتائج التجارب التي قام بها للمقارنة بين ذكاء المصريين وذكاء الامريكيين هو موضع شك . غير ان كتابه يعطي فكرة عن مقاييس الذكاء المختلفة من « فردية وخاصة وجمعية » وهو يقصد بالخاصة الاختبارات العملية او الادائية مثل اختبار بنتز وباترسون ثم تأتي ترجمة اختبار استانفورد ـ بينية من سن ٣ الى ١٨ وقد ارفق بالكتاب المجموعة المصورة .

تلك كانت الحالة عندما بدأ اسماعيل القباني نشاطه العلمي وشرع في اعداد الاختبارات ووضعها . وقد عاونه عدد من تلاميذه ومن زملائه وفيما يلي بيان باهم اعمال القباني :

اعداد اختبار استانفورد ـ بينيه للذكاء ( تعديل ترمان ١٩١٦ ) وضع اختبار الذكاء صورتين وقنن محليا .

وضع بالاشتراك مع د. محمد عبد السلام احمد اختبار استانفورد للحساب من صورتين وقنن محليا .

وضع اختبار الذكاء الثانوي وقد اسهم د. محمد عبد السلام احمد في تقنينه . وقد تم تقنين الاختبار محليا على اساس فئات الاعمار على عينه كبيرة ممثلة من طلبة المدارس الثانوية واولى جامعة . وهذا الاختبار من الاختبارات المعتمدة علميا بالنسبة الى صدقه او ثباته وله قوة تنبؤية كبيرة فيما يختص بالنجاح المدروس .

وفي ١٩٤١ اشترك القباني في اعداد اختبارات الذكاء الحسية وهي مقتبسة من اسبيرمان مع مجموعة من اعضاء هيئة التدريس هم د. عبدالعزيز القوصي د. محمد عبد السلام احمد ، د. رافت نسيم ، علي شلتوت ونجيب غالي فرج .

وكذلك اعد القباني اختبار الذكاء المتوسط واختبار الذكاء المصور للاطفال والقى في نوفمبر وديسمبر ١٩٣٤ ثلاث محاضرات في قياس الذكاء نشرت في عام ١٩٣٨ ( ١٠٤ ص ) : ١ ـ ما هو الذكاء ؟ ٢ ـ كيف يقاس الذكاء ؟ ٣ ـ بعض نتائج قياس الذكاء في المدارس الابتدائية بالقاهرة .

ومن اهم مؤلفاته : سياسة التعليم في مصر ١٤٣ ص ـ ١٩٤٤ ، دراسات في مسائل التعليم ٣٧٢ ص ـ ١٩٥١ ، التربية عن طريق النشاط ١٧٠ ص ـ ١٩٥٨ ، دراسات في تنظيم التعليم بمصر ٢٩٨ ص ـ ١٩٤٨ .

وانشأ في يونيو ١٩٤٨ مجلة « صحيفة التربية » وهي تصدر عن رابطة خريجي معاهد التربية بالقاهرة . ويتولى الآن رئاسة تحريرها د. عبد العزيز القوصي .

واسماعيل القباني هو صاحب فكرة الفصول التجريبية التي قامت على اساسها المدارس النموذجية ، كما انه حارب نظم التعليم التلقينية التي تهتم فقط بتدريس المعلومات دون تثقيف عقل التلميذ وتنمية قوة الابتكار وروح النقد فيه ، كما انه اخذ على نظام الامتحانات العامة جمودها واقتصارها على اختبار قدرة الطالب على الاستظهار فحسب . وقد تحدث د. محمد عبد السلام احمد عن بحث اسماعيل القباني لهذه المشكلة في كتابه « القياس النفسي والتربوي » المجلد الاول ، ١٩٦٠ من ص ٦٠٠ الى ٦١٠ .



## بعثات الخارج للتخصص في علم النفس

سبق ان ذكرنا ان اول طالب اوفد الى الخارج للتخصص في علم النفس هو محمد مظهر سعيد في يناير ١٩٢٥ . وكانت الجامعة التى تخرج فيها هى جامعة برمنجهام بانجلترا .

ويلاحظ ان كل الذين اوفدوا من خريجي المعلمين العليا ثم من معهد التربية وعادوا للتدريس في معهد التربية ، كانوا من قسم الرياضة واوفدو الى انجلترا ، واتجهوا في رسائلهم واغلبها في علم النفس التربوي ـ الى استخدام الطرق الاحصائية والتحليل العاملي بصفة خاصة .

اما بعثات كلية الاداب بجامعة القاهرة ثم بجامعة الاسكندرية وجامعة عين شمس للدراسة السيكولوجية فكانت ترسل الى جامعة باريس حيث يختلف نظام الليسانس والدكتوراه عما هو في انجلترا وسوف نرى اوجه الاختلاف بين التيار الفرنسي في ميدان السيكولوجية . ثم اوفدت بعثات الى الجامعات الامريكية حيث تميل الدراسة الى الجانب المهني اكثر منه الى الجانب الاكاديمي وسنستعرض الان الرسائل الجامعية مع اشارة وجيزة الى موضوعها ونتائجها العلمية كلما امكن ذلك . (١٢)

محمد مظهر سعيد : ١ ) رسالة درجة البكالوريوس في الآداب ( فلسفة وتربية ) ١٩٢٦ وموضوعها عرض لمفهوم افلاطون للنفس البشرية كما ورد في كتاب الجمهورية .

٢ ) رسالة درجة بكالوريوس في العلوم ( علم نفس ورياضيات عالية ) ١٩٢٦ وموضوعها : طريقة دائرية جديدة لتعلم الشعر « تجمع بين الطريقتين التقليديتين « الكلية والجزئية » .

٣ ) رسالة درجة ماجستير في العلوم ( علم نفس وتربية سنة ١٩٢٨ وموضوعها « مذهب سيكولوجية الملكات » وتتضمن آراء فلاسفة اليونان والعرب وعلماء النفس المحدثين في الملكات العقلية وتفند مزاعم الاقدمين في ان الملكة قوة طبيعية تعمل بصفة عامة .

٤ ) رسالة أعدت للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة ( علم النفس سنة ١٩٢٩ موضوعها : « الطبيعة النوعية لذاكرة الالوان والاشكال . والبحث طويل يقع في ٢١٥ صفحة وفيما يلي بعض النتائج الخاصة بذاكرة الالوان كما جاءت في البحث الذي قدم في المؤتمر الدولي الحادي عشر لعلم النفس الذي عقد في باريس عام ١٩٣٧ وكان وقتئذ الاستاذ محمد مظهر سعيد رئيس قسم علم النفس في معهد التربية واستاذ علم النفس المساعد بجامعة الازهر . يقدم الباحث نظرية العاملين لتذكر الالوان ، ونتعرفها ونتذكرها وهو مستقل عن العامل العام ، فهناك عامل عام يشترك في جميع العمليات التي بها تدرك لدى اسبيرمان ، وعوامل يعمل كل واحد منها مستقلا عن الاخر ، ولا يتم الربط بينها جميعا الا بفضل العامل العام .

ان نظرية العاملين في تذكر الالوان كان مصيرها مصير نظرية العاملين لاسبيرمان التي لم يبق من شكلها الا على الشيء الكثير . ومع ذلك فان بحث محمد مظهر سعيد جدير بالذكر من الناحية التاريخية خاصة وان البحوث التي تتناول موضوع تذكر الالوان نادرة للغاية . هذا ولا يفوتنا ان ننوه بالجهود الحميدة الموفقة التي بذلها الاستاذ محمد مظهر سعيد لادخال تدريس علم النفس في كثير من المعاهد ولتنبيه الاذهان لاهمية علم النفس . وهو يقول في تقريره : وبعد جهد شاق وكفاح مرير نجحت في ادخال علم النفس في كلية اصول الدين بالجامعة الازهرية ١٩٣٠ ، والمعهد العالي للفنون المسرحية ١٩٤٥ . والمعهد الصحي العالي ١٩٤٦ وقسم تخصص التدريس بكلية اللغة العربية ١٩٤٠ ، وقسم تخصص الضباط بكلية الشرطة ١٩٥٠ . الى جانب الدراسات الصيفية في علم النفس المدرسي الفنون والصنائع والزراعة ، وبرنامج اعرف نفسك ، بالجامعة الشعبية ١٩٤٩ .

### بحوث التحليل العاملي للقدرات العقلية

ان جانبا كبيرا من اسهام علماء ج.ع.م. السيكولوجيين يتمثل في الرسائل الجامعية والبحوث التي استخدمت فيها طريقة التحليل العاملي لمعالجة نتائج الاختبارات المختلفة للكشف عن قدرات عقلية اولية نقية أو عن بعض سمات الشخصية . ولم يكن هذا الاسهام مقصورا على الحركة العلمية المحلية ، بل كان ذا طابع دولي .

ومن العوامل التي ساعدت على بعض هذه الحركة منذ اكثر من ٣٠ عاما واستمرارها حتى اليوم ان عددا من البعثات في علم النفس التحق اصحابها بالجامعات الانجليزية وجامعة لندن بصفة خاصة ، حيث كان يقوم بتدريس علم النفس عالمان جليلان هما : شارلز اسبيرمان وسيرل بيرت وهما من رواد حركة التحليل العاملي ، وقد حدث من جهة اخرى ان هؤلاء المبعوثين كانوا متخصصين في الرياضة مما سهل عليهم تمثيل الاساليب الرياضية والاحصائية في معالجة لبيانات والنتائج ، هذا بالاضافة الى ان الطلبة المبعوثين كانوا موفودين من قبل معهد التربية للمعلمين ليعدوا رسائلهم في علم النفس التربوي ، والاطلاع على كل ما يعمل في مجال الاختبارات والاقيسة السيكولوجية وكيفية الاستفادة من الاختبارات في التوجيه التربوي والمهني .

ورائد هذه الحركة في دراسة القدرات العقلية هو د. عبد العزيز القوصي . ويرتبط اسم القوصي في الاوساط العلمية في الخارج بمجموعة الباحثين الذين كشفوا عن القدرات المكانية ، ويرتبط بصفة خاصة بالعامل المكاني (ق) الذي اكتشفه عام ١٩٣٤ عندما كان يعد رسالته للدكتوراه تحت اشراف اسبيرمان وتلميذه استيفنسن في جامعة لندن . ونشرت الرسالة عام ١٩٣٥ بعنوان : « بحث في العوامل باستخدام اختبارات تتضمن الادراك البصري للمكان » .

ولكي نقدر اكتشاف القوصي للعامل (ق) حق قدره يجب ان نذكر ان اسبيرمان ظل حتى اواخر حياته متمسكا بنظريته المعروفة بنظرية العاملين ( العامل العام والعوامل الخاصة ) ولم يسلم بوجود العوامل الطائفية مثل العامل اللفظي والعامل المكاني الا بكثير من الحذر والتحفظ . والسبب الذي من اجله لم يهتد سبيرمان وتلامذته حتى ١٩٢٧ الى وجود العوامل الطائفية هو صغر العينات التي كانت مستخدمة في البحوث . ويرجع الفضل الى اثبات وجود العوامل الطائفية بوجه عام الى سيرل بيرت منذ ١٩٠٩ ثم الى استيفنسن والقوصي والى اثبات وجود العامل المكاني بصورة قاطعة الى القوصي وحده .

ففي ١٩٣١ توصل استيفنسون باستخدام ٧ اختبارات لفظية و٨ اختبارات غير لفظية على عينة مكونة من ١٠٣٧ تلميذة عمرهن يتراوح بين ١٠ و ١٢ سنة ، الى اثبات وجود عامل طائفي لفظي والى احتمال وجود عامل طائفي اخر من طبيعة ادراكية مكانية في الاختبارات غير

اللفظية . وكذلك في بحث اخر لبيراون واستيفنسون نشر عام ١٩٣٣ اشارة بعيدة الى احتمال وجود عامل طائفي مكاني . وفي هذه الاثناء كان القوصي يقوم ببحثه بتطبيق ٢٦ اختبارا ، منها ١٥ اختبارا ذات طبيعة مكانية على ما يبدو وثمانية اختبارات مرجعية لقياس العامل العام ، وذلك على عينة من ١٦٢ تلميذا من سن ١١ الى ١٣ عاما . وقد انتهى القوصي الى نتائج حاسمة تؤكد وجود هذا العامل واطلق القوصي على هذا العامل اسم العامل (ق) وقد تبنى مؤكدا بعد ان كان موضوع احتمال وتخمين فحسب . واطلق القوصي على هذا العامل اسم العامل (ق) ، وقد تبنى جميع علماء النفس الانجليزيين هذه التسمية ، في حين انه يشار الى العامل المكاني في بحوث ترستون بالحرف (اس) وسيربط فيما بعد فرنون (١٩٥٢) بين العامل المكاني والعامل الميكانيكي ، ويشير الى هذه المجموعة بالحرفين ق – م .

ويفسر القوصي العامل المكاني بانه القدرة على سهولة استخدام التصورات البصرية التي تسمح بنقل الاشكال في المجال الذهني . ويعتمد في تأويله هذا على تحليل العمليات التي قام بها الاشخاص المختبرون والتي وضعوها بعد بعد تتبعها استبطانيا . وستأتي بحوث ترستون وايمت مؤيدة للتأويل الذي وصل اليه القوصي . وقد حدث فيما بعد ان حاول بعضهم التمييز بين العامل المكاني وعامل التخيل البصري المجسم كما سيصنع عالمان مصريان اخران في عام ١٩٥١ هما د. محمد عبد السلام احمد والدكتور فؤاد البهي السيد .

وحيث ان القوصي استخدم في تحليل نتائج الاختبارات طريقة اسبيرمان ، فانه يوافق اسبيرمان موافقة جزئية في ان الاختبارات المكانية تقيس ايضا صورة اولية للعامل العام .

ويعرض الدكتور القوصي مراحل بحثه والنتائج التي وصل اليها وما استتبعت هذه النتائج من بحوث اخرى قام بها علماء اجانب وعلماء عرب امثال محمد عبد السلام وفؤاد البهي ومختار حمزة وبركات وخيري مرسي . وذلك في البحث الذي القاه في باريس في يوليو ١٩٥٥ اثناء انعقاد الحلقة الدراسية الدولية عن التحليل العاملي وتطبيقاته ، وعنوان البحث «اتجاهات الابحاث في القدرات المكانية » وقد جاء ذكر اكتشاف القوصي في كثير من المراجع الاجنبية مثل كتب فرنون وترستون واوليرون (١٩٥٧) ، وجيلفورد (١٩٦٠) .

ومن الوجهة التطبيقية فقد اثار العامل المكاني اهتماما كبيرا ، اذ ان الاضطرابات التي تقيسه لها قيمة تنبؤيه في مجال التربية والمهن الصناعية . وفيما يلي بعض النتائج العملية التي توصل اليها القوصي بالاشتراك مع سلامة وهنا :

١ – أن العامل (ق) يظهر بصورة واضحة ومميزة فيما بعد السن الحادية عشرة . ٢ – لدى تلاميذ المدارس الصناعية التطبيقية اختبارات اثبات اليد والتآزر اليدوي لا تقل اهمية عن الاختبارات التي تقيس القدرة على النجاح المدرسي . ٣ – ان القدرة على التصور المكاني لها اهمية بالغة في الرسم . ٤ – ان العوامل المكانية والميكانيكية أكثر تنظيما وتأكيدا لدى مجموعة طلبة الهندسة الجامعيين المدربين عنها لدى مجموعة غير المدربين ٥ – ان أفضل الاختبارات المكانية لقياس القدرة الهندسية لدى المجموعة المدربة هي الاختبارات المكانية ذات البعد الثالث واختبارات تذكر الاشكال الهندسية .

ومن البحوث التي تدخل في هذا النطاق والتي تدعم وجود القدرة المكانية ، بحث الدكتور محمد خليفة بركات والذي تقدم به لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن تحت اشراف سيرل بيرت وموضوع البحث : « تحليل القدرات الرياضية عند تلاميذ المدارس الثانوية – ١٩٥١ » .

وقد قام بتطبيق ١٣ اختبارا على ١٦٠ تلميذا و ١٦٠ تلميذة وتوصل الى ان النجاح في الرياضيات يتطلب العوامل الاتية : العامل العام ، العامل العددي ، العامل اللفظي ، العامل المكاني . وقد اتضح أن للقدرة العددية ناحيتين : تتعلق الاولى بالعمليات الرياضية التي تتطلب الاتقان والسرعة ، وتعتمد على الذاكرة والاتزان الانفعالي ، والثانية تتعلق بالتفكير الرياضي وحل المسائل ، وهي تعتمد على الاستدلال .

ونتناول الان بحثا قيما للدكتور مختار حمزة في التاخر الدراسي في الرياضة في المدارس الثانوية ، وهو البحث الذي نال به درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٥١ من جامعة ليدز بانجلترا (١٤) ، وكانت العينة مكونة من طلبة المدارس الثانوية اختير منهم ١٣٦ تلميذا عاديا و ١٣٦ تلميذا متخلفا في الرياضيات بين سن ١٢ او ١٤ عاما ، وكانت بطاريته تتكون من ٢٢ اختبارا ، منها ١٩ اختبارا في القدرة الرياضية صمم منها ١١ وثلاثة اختبارات تحصيلية واختبارا للذكاء .

وتتلخص النتائج فيما يلي : ١ – انخفاض مستوى الذكاء لدى مجموعة المتأخرين بشكل جوهري . ٢ – كانت مجموعة المتأخرين اضعف من العاديين في القدرة الرياضية فيما يختص باستخدام الارقام وفهمها والتصور البصري . ٣ – اتضح أن بعض الافراد في مجموعة المتأخرين يتمتعون بذكاء عال وقدرة رياضية جيدة . ٤ – ان اعلى نسبة مئوية للتأخر كانت في مادتي الحساب والجبر مما يوحي بان هاتين المادتين تتطلبان بعض القدرات اللازمة للنجاح في الهندسة ، اي انه يجب التمييز بين كل من القدرة العددية والقدرة المكانية اوبعبارة ادق القدرة على التصوير

البصري للاشكال الهندسية . ٥ ـ وقد ظهر عامل آخر غير عقلي خاص بالعمل لمادة الرياضة .

ان العبارة التي استخدمها د. مختار حمزة في بحثه هي التصوير البصري والسؤال الذي يمكن طرحه هو ، ما ذا كانت القدرة على التصور البصري قدرة بسيطة او قدرة أولية يمكن تقسيمها . وقد بين د. فؤاد البهي السيد في رسالته للدكتوراه عام ١٩٥١ عن العوامل المعرفية في القدرة الهندسية ، ودراسة في القدرات المكانية ، ان القدرة المكانية تنقسم الى قسمين : المكانية الثنائية ، والمكانية الثلاثية ، كما بين ضرورة التمييز بين القدرة الهندسية والقدرة المكانية .

وفي السنة نفسها اي ١٩٥١ كان د. محمد عبد السلام قد توصل الى تقديم حل حاسم لمشكلة كثيرا ما كانت مثار الجدل والتساؤل بين علماء النفس منذ عصر السير فرانسيس جالتون ، وهي مشكلة القدرة على التصور المجسم . هل التصور البصري للاشياء وتصورحركة الاشياء قدرة واحدة كما ذهب الى ذلك جيلفورد وآخرون في تقريرهم السيكولوجي الخامس عن السلاح الامريكي عام ١٩٤٧ . فقد توصل عبد السلام الى التمييز بين القدرة على تصور البعد الثالث ، والقدرة على المعالجة الذهنية المكانية ، والقدرة الاولى لاتتضمن تصور الحركة ، وفي حين ان القدرة الثانية تتضمن تصور الاشياء في المكان وتحويرها . كما بين ان قدرة المعالجة الذهنية ليست قاصرة على العلاقات المكانية كما كان يظن بل تدخل في حل جميع المسائل الفكرية من تفكير لفظي وعمليات حسابية وتفكير مجرد وقضايا منطقية وغير ذلك حيثما كانت هناك حاجة الى التعديل والتغيير في ترتيب عناصر الموضوع او المشكلة ترتيبا يسهل معه ادراك العلاقات بينعناصر المشكلة ومن ثم اكتشاف الحلول .

وهذه القدرة على المعالجة الذهنية التي اثبت عبد السلام وجودها باتباع طريقةالتحليل العاملي هي القدرة نفسها التي وصفها الجشطلتيون ، عندما تحدثوا عن اعادة بناء المجال ، غير انه يوجد فرق بين التصورين ، فلدى عبد السلام نحن بصدد الجشطلتيين تؤدي العوامل الموضوعية الدورة الاكبر في تغيير بناء المجال . ومهما تكن من امر فمن الطريف ان نسجل ظاهرة تدعيم الحقائق التي توصل اليها باستخدام الطريقة الاكلينيكية تدعيما تجريبيا رياضيا .

وقد استخدم عبد السلام في بحثه ثلاثة عشر اختبارا طبقت على ٢٣٩ تلميذا . وقد وضع الباحث خمس اختبارات منها اثنان لتصور البعد الثالث واثنان للمعالجة الذهنية وقد استخدم القسم السيكولوجي في سلاح الطيران الاميركي هذه الاختبارات في ابحاثه بعد استئذان واضعها . وقد اهتم الاستاذ جلفورد بصفة خاصة بالنتائج التي توصل اليها عبد السلام وبعامل المعالجة الذهنية على وجه الخصوص نظرا لما له من اهمية نظرية وعملية .

وقد نشر النص الانجليزي لجزء منرسالة الدكتور محمد عبد السلام احمد في « الكتاب السنوي في علم النفس » الذي اشرف على اصداره الدكتور يوسف مراد ، عام ١٩٥٤ ، من ص ٢٣ الى ٨٨ ، طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٤ .

ومن البحوث القيمة التي قام بها علماؤنا ، بحث كان له اثر بعيد في الاوساط العلمية في الخارج ، اعني الرسالة التي تقدم بها السيد محمد خيري مرسى لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن في ١٩٥١ وموضوعها «مسؤوليات العمليات العقلية المعرفية (١٦) . وفيما يلي ملخص البحث كما جاء في ص ١٨٤ من الكتاب السنوي في علم النفس ، ١٩٥٤ .

« تتلخص المشكلة التي يرمي البحث الى فحصها في تقسيم العمليات المعرفية تقسيما يتفرق مع طبيعة هذه العمليات واختلافها بعضها عن بعض من حيث النوع ودرجة التعقيد ، وقد اجرى لذلك بحث تجريبي على ١٦٦ ولدا بين العاشرة والحادية عشر واستعمل فيه عشرون اختبارا لعمليات عقلية تدل الملاحظة النفسية علىان كلا منها ينتمي الى مستوى من المستويا تالعقلية تحت الاختبار ، وقد حللت النتائج التجريبية بالطرق الاساسية في التحليل العاملي ، واتضح ان التقسيم الذي رجحه هذا التحليل يتم في خطوتين : في الخطوة الاولى تنقسم العمليات الى طائفتين هما المجموعة التفكيرية والمجموعة العملية ، وفي الخطوة الثانية تنقسم الاولى الى العمليات العلاقية والعمليات الارتباطية . وتنقسم الثانية الى العمليات التي تنتمي لى المستويات المختلفة .

في الرسائل التي سبق ذكرها كان يقوم بالاشراف اما اسبيرمان او سيرل بيرت ، والان تنتقل الى اد ينيورا في اسكتلندا حيث يقوم بتدريس التربية استاذ اشتهر في ميدان التحليل العاملي هو جود فرى توسون الذي اشرف على الرسالة المقدمة من رمزية الغريب للحصول على الدكتوراه في الفلسفة في ديسمبر ١٩٤٩ . وكان موضوع رسالتها « التحليل العاملي للقدرة العملية وعلاقتها بالاستعداد العقلي العام والسمات المزاجية والتحصيل الدراسي . وهو اول بحث من نوعه يحاول تحديد طبيعة القدرة العملية وتحليلها الى مكوناتها ، فمنذ ان اكتشف الكسندر العامل العملي ف باستخدام اختبارات ادائية غير لفظية والبحوث التي تجري لمعرفة ما اذا كان لهذا العامل اصالة تميزه عن العامل الميكانيكي او عامل القوصي اي العامل المكاني . فاتضح ضعف العلاقة بين ( ف ) و ( م ) ، في حين ان برايس في بحثه عام ١٩٤٠ ارجع العامل ف الى العامل المكاني . وفي ١٩٤٩ نشر ايمث بحثا ينتهي فيه الى القدرة العملية تتضمن العامل العام

والعامل المكاني .

وفي نفس السنة توصلت الدكتورة رمزية الغريب الى نتائج هامة تؤيد بعضها ما توصل اليه ايمث . فقد طبقت على عينات من تلاميذ وتلميذات المدارس الثانوية والصناعية حوالي ٢٠ اختبارا منها ٧ اختبارات عملية غير لفظية ، ثم طبقت هذه الاختبارات العملية على عينة عشوائية من الفلاحين والعمال .

وقد اسفر التحليل العاملي لمعرفة الارتباطات لعينات التلاميذ عن النتائج الاتية :

١ ــ قدرة عقلية عامة . ــ قدرة على ادراك العلاقات الآتية :

١ ــ قدرة عقلية عامة . ٢ ــ قدرة على ادراك العلاقات المكانية . ٣ ــ قدرة على سرعة الادراك ( شبيه بعامل ب لثرستون ) . ٤ ــ قدرة تحصيلية معرفية .

ب ــ ان هناك علاقة كبيرة بين القدرة العملية والاستعداد العقلي العام ، وليس من الصحيح ان هذه القدرة لاتتطلب قدرا لابأس به من هذا الاستعداد العام .

جـ ــ لم يؤد التحليل الى عزل قدرة خاصة متعلقة بالسمات المزاجية .

وقد اهتمت الدكتورة رمزية الغريب ببحث النواحي التطبيقية للقدرة العملية في التوجيه الدراسي لمختلف انواع التعليم الثانوي ،ويتضح ذلك من مجموعة الاختبارات التي اعدتها منذ ١٩٥٩ وقد اعدت في ١٩٦٢ اختبار الاستعداد العقلي بالمرحلة الثانوية والجامعية .

اشرنا في عرضنا لبحث الدكتورة رمزية الغريب الى المشكلات التي اثارها العامل العملي ف لالكسندر ، ومدى علاقته بالعامل الميكانيكي والعامل المكاني . ونود الان ان نشير الى بحث حديث جدا ( مايو ١٩٦٣ ) يتناول بالدراسة التجريبية والعاملية القدرة الميكانيكية وما تتضمنه من عوامل ، قدمه محمود عبد القادر لكلية الآداب ــ جامعة عين شمس « قسم الدراسات النفسية والاجتماعية » . لنيل درجة الماجستير في علم النفس ، تحت الاشراف العلمي للدكتور السيد محمد خيري مرسي الذي سبقت الاشارة الى بحثه . وهذا البحث الذي يرتبط بأكثر من صلة ببحوث الدكتور القوصي عن العامل المكاني والدكتور محمد عبد السلام عن عامل المعالجة الذهنية ، جدير بكل ثناء كما انه مبعث فخر للدراسة الجامعية في ج.ع.م. لانه لايكتفي بان يكون في مستوى قوى البحوث السيكولوجية التي تجرى في الخارج ، بل في نظري يفوق الكثير منها ، وذلك للاسباب الاتية : اتساع ثقافة الباحث مع تعمقه في موضوع تخصصه ، وضوحه في عرض الابحاث السابقة التي تناولت الذكاء الميكانيكي وما يتعلق بها من قدرات طائفية او خاصة واتخاذه موقف الناقد المنصف ، الجهود الضخم الذي بذله في عدد ادوات البحث من اختبارات وتحليلات للاعمال الميكانيكية المختلفة، مناقشته العميقة لمفهوم الصدق وقيمته النسبية ، وبالاضافة الى براعته في سياغة الافكار العلمية والمعالجة الذهنية العقلية للمشكلات ، يجب ان نذكر اتقانه في استخدام ادق الطرق في التحليل العاملي، وحسبنا ان نذكر ان تطبيق الاختبارات وعددها ١٩ على ٢١٢ تلميذا ادى الى استخراج ١٧١ من معاملات الارتباط عولجت عامليا ، بعد عدة مراحل اجراء ٣٧ عملية تدوير ادت الى الكشف عن تسعة عوامل متعامدة بيانها فيما يلي ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ من الرسالة » .

١ ــ الاستدلال الميكانيكي . ٢ ــ المهارة « للاصابع واليدين والذراعين » . ٣ ــ السرعة الحركية « التآزر بين حركات اليدين والذراعين وحركات العينين» . ٤ ــ السرعة الادراكية للعلاقات المكانية . ٥ــ العامل المكاني الاول وهو التصور البصري الثلاثي لبعد اي القدرة على لف او نقل الجسمات والاشكال تصوريا من مكانها او وضعها الاولى الى مكان او وضع جديد بناء على تعليمات محددة بذلك .

٦ ــ ذاكرة الاوضاع المكانية . ٧ ــ العامل المكاني الثاني (التصور البصري الدينامي ) ويمثل المعالجة او الحركة البصرية في تنظيم او ترتيب عناصر المشكلة ، و اعادة تنظيمها من زاوية جديدة حتى يسهل فهمها . ٨ ــ عامل الاتزان ويمثل القدرة على دقة وثبات حركات اليد مع تحريك الاصابع واليد حركات ارادية بسرعة ودقة الى اهداف معينة حسب تعليماته المحددة . ٩ ــ البقايا .

ويجب هنا التعليق على العامل السادس وهو عامل ذاكرة الاوضاع المكانية فان استخلاص هذا العامل يعتبر تحقيقا عامليا خاصا بالفرض الذي توصل اليه الباحث من تحليل العمل الذي اتضح منه ان معظم الاعمال الميكانيكية تتطلب قدرا معينا من تذكر الاوضاع المكانية ، هذا بالاضافة الى ان هذا العامل لم يظهر في اي دراسة سابقة ويعتبر بحق اضافة جديدة لمكونات القدرات الميكانيكية .

ولا يتسع المقام للاشارة الى جميع نتائج هذا البحث القيم ، وحسبنا ان نشير في النهاية الى الجانب التطبيقي ، فقد تمكن من تكوين بطارية كاملة لاختبار القدرات الميكانيكية لمن تتروح سنهم بين ١١ و ١٤ سنة من الذكور تتمتع بخصائص البطارية الجيدة وتتكون من ٩ اختبارات تقيس القدرات السابقة بصور نقية في ١١ دقيقة ، وتستخدم في مجال الاختبار والتوجيه المهني بالنسبة لجميع الحرف الميكانيكية التي توجد على مستوى الجمهورية . كما يمكن تشخيص جوانب الاضطراب التي تحدث في مرحلة بعينها من العمل او التدريب بناء على المفهوم الجديد للصدق كما وصفه الباحث . وكذلك يمكن تحديد الدرجات الفاصلة التي يمكن ان تقبل او ترفض على اساسها العمال

في عمليات الاختبار بناء على مستوى الكفاية المطلوبة للعمال المختارين .

قدمنا فيما سبق عرضا سريعا لاحدى الحركات العلمية الهامة التي قام بها علماؤنا وهي الدراسة التحليلية العاملية لبعض القدرات العقلية . (١٧) . وقد دفعنا الى تقديم هذا الموضوع حركة البعثات العلمية التي اوفدت الى انجلترا حيث كان الاتجاه السائد في الدراسات السيكولوجية التحليل العاملي للقدرات العقلية وما يترتب على نتائج هذه الدراسات من تطبيقات عملية في وضع الاختبارات .

وسنتناول الان عرض اهم البحوث السيكولوجية تبعا لمختلف ميادين علم النفس بعد ان نصف بايجاز وضع الدراسات النفسية في كلية الاداب الجامعية .

عند انشاء كلية الاداب عام ١٩٢٥ تضمن برنامج الدراسة في قسم الفلسفة مادة علم النفس وكان يقوم بتدريسها اساتذة فرنسيون وظل الامر كذلك حتى ١٩٤٠ عند عودة يوسف مراد من البعثة بعد حصوله على ليسانس التعليم في الاداب ١٩٣٣ ودبلوم الدراسات العليا ١٩٣٤ ودكتوراه الدولة في الاداب مع التخصص في علم النفس يناير ١٩٤٠ من جامعة باريس .

وكانت كلية الاداب قد اوفدت ضمن بعثاتها الى باريس للتخصص في علم النفس مصطفى زيور الذي نجح في الجمع بين دكتوراه الطب والتحليل النفسي والذي سيقوم كما سنرى بدور رئيسي هو وتلاميذه في اقامة حركة التحليل النفسي على اسس متينة ، وفي انشاء اول قسم متخصص للدراسات النفسية في جامعة عين شمس عام ١٩٥٢ .

وفي هذه الفترة ايضا كان يدرس في باريس عزت راجح الذي قدم لجامعة باريس اول رسالة في علم النفس الصناعي للحصول على درجة الدكتوراه ، والذي خلف الدكتور زيور في تدريس علم النفس بجامعة الاسكندرية بعد ان تولى الدكتور مصطفى زيور رئاسة قسم الدراسات النفسية والاجتماعية بجامعة عين شمس .

فبينما كان تدريس علم النفس في معهد التربية متأثرا بالاتجاه الانجليزي ومرتبطا بالاهتمامات التعليمية والتربوية كان الاتجاه الفرنسي هو السائد في التدريس الجامعي ، ثم انضم الى هذين الفريقين فريق ثالث مكون ممن اتموا دراستهم العليا في الجامعات الامريكية فانضم بعضهم الى كلية التربية وكلية البنات وكلية الاداب بجامعة عين شمس وعين احدهم في كلية الاداب بجامعة القاهرة .

ولا بد هنا من الاشارة الى ان ما يميز الاتجاه الفرنسي في علم النفس عن الاتجاهين الانجليزي والامريكي . ان تدريس علم النفس في الجامعة الفرنسية تغلب عليه النزعة الاكاديمية التي تهتم بعرض النظريات ونتائج التجارب ومناقشتها وربطها بالتيارات الفكرية والفلسفية وهي تهدف الى اعداد مدرسين لا الى تكوين مهنيين ، اما الجانب التطبيقي والمهني فهو من اختصاص معهد خاص هو معهد القومي للعمل والتوجيه المهني . اما تدريس علم النفس في الجامعات الامريكية فانه وان كان لا يهمل الجانب الاكاديمي ، يتجه بصفة خاصة نحو الاعداد المهني سواء في مجال تطبيق الاختبارات او الارشاد والتوجيه والعلاج النفسي . والدراسة الانجليزية وسط بين الفرنسية والامريكية وهي اكثر اهتماما بتطبيق الطرق الاحصائية وبمحاولة اقامة الدراسات الخاصة بالشخصية وبالسلوك الشاذ على اسس موضوعية ودقيقة .

لا شك ان في هذا التميز شيئا من التصنع لانه من السهل ان نبين كيف ان الاتجاهات الكبرى في الدراسات السيكولوجية ممثلة جميعها في انجلترا وفرنسا وامريكا ، غير ان التمييز الذي نقترحه تؤيده الى حد كبير التيارات المختلفة في البحوث النفسية وبصفة خاصة في رسائل الماجستير والدكتوراه التي قدمت للجامعات في العشرين سنة الاخيرة .

والان نعود الى حديثنا عن اهم الرسائل الجامعية التي قدمت للجامعات الفرنسية .

في ١٩٣٨ قدم عزت راجح وهو من خريجي مدرسة المعلمين العليا رسالة عنوانها « المهارة اليدوية في مجال التوجيه المهني » للحصول على دكتوراه جامعة باريس باشراف الاستاذ الدكتور هنري قالون . ومضمون الرسالة بحث تجريبي احصائي يقوم على اجراء اختبارات للمهارة اليدوية ويحلل النتائج تحليلا عامليا . وقد استهدف البحث هدفين اولهما اعداد بطارية من الاختبارات المنوعة للتأكد من العوامل المختلفة التي يحتمل ان تنطوي عليها المهارة اليدوية ، ثم استخدام هذه البطارية لاغراض التوجيه المهني . اما الهدف الثاني فهو الاستعانة بهذه البطارية لمعالجة بعض المشكلات المعلقة والتي لا تزال موضع خلاف بين علماء القياس السيكولوجي فيما يتصل بموضوع المهارة اليدوية . وقد اسفر البحث عما يأتي :

١ ــ عدم وجود مهارة يدوية عامة ٢ ــ وجود خمسة عوامل طائفية مستقلة هي :

أ ــ سرعة الاصابع والرسغ . ب ــ سرعة حركة الذراع جـ ــ ثبات اليد والذراع ــ د الدقة في التصويب الى هدف هـ ــ التآزر بين حركة اليدين .

٣ ــ ان قياس المهارة اليدوية في مجال معين يجب ان يتم باختبارات تحليلية .

٤ ــ ان الاختبارات اليدوية المركبة اصدق في التمييز بين الافراد من الاختبارات البسيطة .

٥ – ان العسر – وهو استخدام اليد اليسرى – يزداد بنمو الطفل ، وان الطفل البطيء لا السريع هو الطفل الاضبط في اغلب الاحوال ، اي الذي يستخدم كلتا يديه بنفس السهولة .

وقد اهتم د. عزت راجح منذ ١٩٦٠ بتدريس علم النفس الصناعي بجامعة الاسكندرية فانشأ في ١٩٦٠ معملا لتدريب تلاميذ السنة الرابعة الذين يدرسون مادة علم النفس الصناعي . والمعمل مزود بطائفة من الاجهزة والاختبارات المستوردة من الخارج وبمكتبة خاصة . كما انه نشر في ١٩٦١ ، كتابا في علم النفس الصناعي من ٥٠٤ صفحة . وفي ١٩٥٤ نشر بحثا في الكتاب السنوي في علم النفس موضوعه :

« الاختبارات السيكولوجية في انتقاء طلبة الجامعة » ص ٨١ – ٩٦ .

وفي يناير ١٩٤٠ حصل يوسف مراد على دكتوراه الدولة في الاداب من السربون . ويقتضي الحصول على دكتوراه الدولة في الاداب اولا على ليسانس التعليم في الاداب وعلى دبلوم الدراسات العليا ثم تقديم رسالتين للدكتوراه احدهما رئيسية والثانية مكملة .

وكان موضوع رسالة الدبلوم « سيكولوجية الجهد من عهد الفلاسفة اليونان حتى الدراسات التجريبية في القرن العشرين ، وهي منشورة وتقع في ١٧٠ صفحة وتحتوي على سبعة فصول : ويتناول الفصل الاول مفهوم الجهد في الفكر اليوناني واللاتيني وتعتمد الدراسة بوجه خاص على تحليل شتى المصطلحات اليونانية اللاتينية التي تدور معناها حول مفهوم الجهد والمشقة والرياضة الروحية والتقشف والجلد وما اليها . ويعالج الفصل الثاني مفهوم الجهد في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ثم يخصص الباحث الفصل الثالث لعرض راي الفيلسوف مين دي بيران في الجهد اذ ان مفهوم الجهد هو المحور الذي تدور من حوله نظرية مين دي بيران في الشخصية وفي نشأة الشعور بالانا . ثم يستعرض الفصل الرابع التفسيرات المختلفة التي تناولت الشعور بالجهد في القرن التاسع عشر . ثم يعود الباحث فيخصص فصلين احدهما لعرض نظرية برجسون في الجهد العقلي والثاني لشرح نظرية بيير جانييه فيما يسميه بسلوك الجهد (١٨) اما الفصل الاخير فيدرس العلاقة بين الجهد والعمل .

اما رسالتا دكتوراه الدولة في الاداب فقد استغرق اعدادهما وطبعهما اربع سنوات ونصف . وراى الباحث ان يخصص الرسالة الكبرى لموضوع في علم النفس الحديث والرسالة الصغرى لاحياء جانب من التراث العربي في الدراسات النفسية . ومن الموضوعات التي كانت تستأثر باهتمامه دراسة الشروط العضوية الجسيمة للنشاط النفسي او للسلوك كما يحاول علم النفس وصفه وتفسيره .

وموضوع الرسالة الكبرى وعنوانها « بزوغ الذكاء » دراسة مقارنة بين السلوك الحيواني وسلوك الطفل الرضيع مع الافتراض بان القوانين ذاتها التي تفسر سلوك الحيوان تفسر ايضا سلوك الطفل الرضيع ، ثم محاولة الذهاب بهذا الفرض الى اقصى حدوده حتى يتفجر الاختلاف الجوهري بين السلوكين وهذا الاختلاف يتمثل في اللغة وما يتضمنه اكتساب اللغة من قدرات عقلية تنقص الحيوان.

وكان الفرض الثاني الذي حاول الباحث التحقق من صحته هو التوازن القائم بين تطور الجهاز العصبي وتطور السلوك الذكي وتشمل هذه الدراسة مراحل الترقي في المجالين العصبي والسيكولوجي من الاميبا الى الشامبانزيه الى الانسان وقد تبين خلاف هذه المرحلة الطويلة ، كيف كان مدلول الذكاء يتطور ويرتقى من مجال التكيف البيولوجي الى مجال التعليم الحسي الحركي ثم الى مجال السلوك الرمزي العقلي المجرد .

وسمة الذكاء التي نطلقها على فعل من الافعال لا تتضح الا بالقياس الى السلوك الكلي . ويتميز هذا السلوك بانه قصدي ، موجه نحو غاية ، وهي الغاية التي تعين وسائل تنفيذها . ومبدا كل نشاط موجود في الكائن الحي ذاته والمنبه الخارجي ليس الا وسيطا يسمح للنزعات بان تعبر عن نفسها ولهذا السبب يمكن التحدث عن تعدد الدلالة لدى المنبه الواحد .

وحيث ان ارتقاء الذكاء مرتبط بدرجة التمايز والتفاضل التي تكون قد وصلت اليها الوظيفة الاستطلاعية لاعضاء الاستقبال فان اول بادرة للذكاء تظهر عندما يكتسب المنبه الخارجي صفة الاشارة عندما يكون غير ملائم للتفريغ المباشر للتوتر الذي احدثه تنشيط الحاجة او النزعة او الميل او الدافع على وجه العموم ، وفي هذا الكف المؤقت للدافع وفي هذه الصفة الاستباقية للمنبه ما يميز الفعل الذكي . والشعور من الوجهة الوظيفية هو توقع اتمام خبرة اعتمادا على ما يحويه الموقف الراهن من امارات . وكلما كان تبلور النزعة مبكرا ، اي عندما لاتزال بعد غامضة وغير متعينة ، او بعبارة اخرى كلما كانت درجة عدم اتمام الخبرة عالية في اللحظة التي يصبح فيها الشخص شاعرا بالمشكلة التي عليه ان يحلها ، زاد مدى تنوع وتعين التفاصيل في مجال سلوكي اكثر امتدادا ، كما تثرى مجموعة انماط التوافق المكنة . وفي الذكاء الحيواني تكون درجة عدم اتمام الخبرة صغيرة في اللحظة التي يواجه فيها الحيوان العقبة او الصعوبة . وكلما صغرت هذه الدرجة ضاق مجال يواجه فيها الحيوان العقبة او الصعوبة . وكلما صغرت هذه الدرجة ضاق مجال الذكاء وانحصرت القدرة على التجريد في حدود ضيقة – فالحلول المكنة التي تعرض للحيوان تتميز بدرجة

كبيرة من التنظيم والتعيين وتترك مجالا صغيرا صيغة جدا لاختيار جديد لاحق .

ويتميز ذكاء الطفل عن ذكاء الحيوان في ان تبلور النزعة يتم تمهيدا لاختيار عن طريق المحاولة والخطأ وذلك في غيبة المنبه الخارجي . ففي إمكان الطفل ان يستبعد الخبرة قبل ان توجد في مجال الادراك .

ويتوقف السلوك الذكي على مرونة الادراك وقابلية مجاله للتشكل ولاعادة بنائه بحيث تتاح فرصة الاستبصار السريع . وما يقال عن مجال الادراك يقال عن مجال المعالجة الذهنية ، فكلما كان الفشل موضع تفكير بدلا من ان يكون موضع معاناة تكون درجة الذكاء اكبر .

واخيرا يسير تقدم الذكاء وارتقاؤه نحو درجات اكبر فاكبر لعدم تعيين الاشارات والرموز التي يميزها الشخص او يتفقدها اويستخدمها ، نحو تحرير اكبر فاكبر من القيود المكانية والزمانية ، نحو تدعيم القدرة على الكف والتوقع والالتفاف والاستباق والاختيار .

ومن خلال تتبعه لارتقاء الجهاز العصبي في الانواع الحيوانية من اللا فقريات الى الفقريات ، ودراسته للمراحل التي يمر بها النمو الحسي والحركي والانفعالي والادراكي لدى الطفل اتضح للباحث مدلول عملية التكامل كما اشار اليها هو جلنجز ــ جاكسون وشرنجتون في انجلترا ثم موناكوف ومورج في فرنسا وسيتخذ يوسف مراد من عملية التكامل المحور الذي سيبني حوله نظريته الشاملة في الحياة النفسية ويصيغ القوانين العامة التي تفسر ارتقاء الحياة النفسية . ان نقطة البداية عنده هي دائما دراسة الشروط البيولوجية والفسيولوجية للسلوك الفردي ومن رايه انه لا يمكن فهم الانسان الا اذا فهمنا اولا طبيعته الحيوانية ، كما انه لا يمكن فهم المجتمع الا اذا فهمنا اولا طبيعة الانسان الفرد . ولا يعني هذا ان يوسف مراد ينزع في تفكيره نزعة تخفيضية بارجاع الانسان الى الحيوان والاجتماعي الى الفردي ، بل على العكس من ذلك فان منهجه التكاملي ظفروي في نزعته يسلم بوجود مراتب تصاعدية من الوجود بحيث تحفظ كل مرتبة حيوانية كانت او نفسية او اجتماعية بنوعيتها واستقلالها الذاتي .

طبعت هذه الرسالة عام ١٩٣٩ ونوقشت في يناير ١٩٤٠ وقد اشرف على البحث الاستاذ هنري ديلاكروا ثم بعد وفاته الاستاذ بول جييوم ، وقد قال عن الرسالة في تقريره ان من بين مميزاتها انها تقدم لعلماء النفس الفرنسيين حقائق ونتائج تجريبية هم للاسف يجهلونها . وقد اعيد طبع الرسالة في ١٩٥٥ ونشرت في مجموعة يشرف عليها الاستاذ هنري بيرون هي « المكتبة العلمية الدولية ، قسم العلوم الانسانية فرع علم النفس » . وقد اصبح كتاب د. يوسف مراد « بزوغ الذكاء » من الكتب التي تذكر في المراجع الاساسية لكتب علم النفس للطلبة الجامعيين . وقد استشهد ببعض ما جاء فيه الاستاذ هنري بيرون في موسوعة علم النفس ــ فصل سيكولوجية الحيوان ــ وجان فيو في كتابه عن سيكولوجية الحيوانات وكذلك العالم الهولندي بويتنديك . وفي كتابه عن ذكاء الطفل وتفكيره عدل جان بورجاد رايه في طبيعة الذكاء في الطبعة الثانية من كتابه عام ١٩٤٢ ص ١٥٤ .

ويشير فيو في ص ٦٧ الى التمييز الذي اقامه يوسف مراد بين السلوك المكتسب عن طريق التعلم والسلوك المكتسب الذكي ، اي العلاقة بين التعلم والذكاء وهو موضوع الفصل الرابع من كتاب بزوغ الذكاء . كما ان فيو في حديثه عن تعلم الفار اجتياز المتاهة يرجع القاريء الى الفصل السادس . وفي خاتمة كتابه يذكر فيوص ١٢٥ ــ ١٢٦ نصا مقتبسا من كتاب د. يوسف مراد في التمييز بين ذكاء الحيوان وذكاء الانسان .

وكان الفرض من الرسالة الثانية لدرجة الدكتوراه الدولية في الاداب احياء جانب من التراث العربي في الدراسات السيكولوجية . وكان اقرب موضوع للدراسات الوقعية المرتبطة بالعلاقة بين الجسم والنفس ما يتصل بعلم الامزجة او الطباع وما تفرع عنه من تأويلات وتكهنات فيما سمي بعلم الفراسة وهو علم الفيزيوجنومونيا لدى اليونان . وقد وفق الباحث الى الكشف عن نص لم ينشر للامام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في علم الفراسة ، فوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة كمبردج ونسخة ثانية في قسم المخطوطات في مكتبة لندن كما انه اعتمد على صورة فوتوغرافية لنسخة ثالثة موجودة في المكتبة ايا صوفيا في اسطنبول ، وقد حقق النص العربي التعليقات على النص . وقدم للنص والترجمة بدراسة وافية عن تطور علم الفراسة منذ عهد اليونان حتى يومنا هذا في اربعة فصول من ص ٧ الى ص ٦٧ . ويتناول الفصل الاول موضوع الفيزيوجنومونيا وتطورها في الغرب في القرون الوسطى .

وفي العصر الحديث ، مع الاشارة الى العلاقة بين بعض القضايا في علم الفراسة ومبادىء نظرية الجشطلت من جهة ومبادىء السلوكية الحديثة من جهة اخرى .

ويعالج الفصل الثاني موقف علم الفراسة من سائر العلوم في تصنيف العلوم كما نجده لدى الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد والاكفاني وطاشكوبرو زاده والحاج خليفة .

اما موضوع الفصلين الثالث والرابع فهو عرض لكل ماكتبه اليونان والعرب في علم الفراسة وقد تطلب العثور على كل ما كتبه العرف في هذا الموضوع زيارة المكتبات الفنية بالمخطوطات العربية فقد قضى الباحث اكثر من سنة في التنقيب والبحث في مكتبات باريس ثم لندن وكمبردج واوكسفورد في انجلترا وليدن في

هولندا وبرلين وميونخ وجوطا في المانيا .

وقد وفق اثناء بحثه في المكتبة البودليانية في اكسفورد الى الكشف عن مفقود كان مستترا تحت اسم غريب هو « مذاهب الكلدانيين لابن وحشية » . وهذا الكتاب المفقود هو الجزء الثاني من كتاب مطالع الانوار في الحكمة لسراج الدين محمود ابن ابي بكر الارموعي – ٦٨٢/١٢٨٣ اما الجزء الاول فهو في المنطق وكان من الكتب المأثورة تناوله بالتعليق والتوضيح تسع وعشرون من الشراح منهم قطب الدين التحتاني الرازي – ٧٦٦–١٢٣٤ – والجرجاني – ٨١٦/١٤١٣ – وقد طبع على الحجر في ظهران عام ١٢٩٤ هـ .

اما الجزء الثاني وموضوعه في الحكمة فظل مختفيا ولم يذكره الحاج خليفة في كتابه « كشف الظنون ، من اسامي الكتب والفنون » اذ ان النسخة الوحيدة منه قد انتقلت الى اوروبا قبل ان يبدأ الحاج خليفة رحلته في المكتبات العامة والخاصة .

وهذا الكتاب الذي يعالج موضوعات الفلسفة الاولى والفلسفة الطبيعية والالهية جدير بالنشر لانه يقارن بين اراء ابن سينا وردود فخر الرازي . غير ان النسخة الموجودة في اكسفورد ، وهي النسخة الوحيدة حسب علمنا ،نسخة ناقصة ومكونةمن جزء قديم – عشرورقات – يحمل على هوامشه تعليقات بعضها لمحمود بن عبد الرحمن ابن محمد الاصفهاني الشافعي – ٧٤٩ / ١٣٤٨ – ، والجزء الثاني حديث الكتابة لا توجد شروح على هوامشه.

وقد رحب المستشرقون ومؤرخو العلوم ببحث د. يوسف مراد في علم الفراسة عند العرب وقد تلقى المؤلف من مؤرخ العلم جورج شارتون خطابا يثني فيه على قيمة الرسالة وقد جاء ذكر الرسالة في مجلة ايزيس لتاريخ العلم والفلسفة في عام ١٩٤١ وفي الجزء الثالث من كتاب جورج سارتون « مدخل الى تاريخ العلم » .

وقد ظل د. يوسف مراد معنيا بالتراث العربي وكتابه في مبادىء علم النفس العام هو الكتاب العربي الوحيد الذي يستشهد فيه المؤلف بنصوص عربية اما قديمة لابن سينا والغزالي وكبار اطباء العرب او حديثة لكبار ادبائنا امثال طه حسين والعقاد وتيمور . وسنرى فيما بعد كيف ان مفهوم التكامل وجه بحوث د. يوسف مراد سواء في المقالات التي نشرها في مجلة علم النفس التي انشأها عام ١٩٤٥ وفي الكتاب السنوي لعلم النفس عام ١٩٥٤ بعد توقف المجلة عن الصدور ، او في دراساته لسيكولوجية الفنان والفنون الجميلة .

وننتقل الان الى رسالة الدكتوراه التي حصل عليها مصطفى زيور من جامعة ليون عام ١٩٤١ وموضوعها الافازيا والعسر الدماغي . وقد نشأت فكرة هذه الرسالة – بوصفها تتوجا للدراسات الطبية التي قام بها الباحث كاساس لما يهدف اليه من التخصص في الدراسات النفسية – من الرغبة في دراسة مشكلة يلتقي فيها بوضوح العضوي والنفسي اي مشكلة الافازيا ، اي فقدان القدرة على استخدام اللغة وفهمها ، وما يكتنفها عادة من اعراض الاجنزيا والابراكسيا . ويكون د. مصطفى زيور في اتجاهه هذا مخلصا للتقاليد الفرنسية في الجمع بين الثقافة الطبية والثقافة السيكولوجية كما ان الامر مع اساتذتنا بيير جانييه وجورج ديما وهنري فالون وجورج بوايه واندريه اومبردان كما هو الامر كذلك اليوم مع اندريه لاجاش وجوليبت بوثونيه استاذة علم النفس في السربون . ورغبة تضييق نطاق البحث حتى يتاح تعمق المشكلة اختار الباحث مشكلة الافازيا الصليبية التي يبرز فيها خطل النظرية الميكانيكية عن المراكز اللحائية في تفسير اضطرابات اللغة بوجه خاص واضطرابات التفكير بوجه عام .

وقد استفاد الباحث بدراسته الفلسفية السابقة من ناحية ودراسته في علم النفس الفسيولوجي من ناحية اخرى لاقامة الدليل على وجوب النظرة الديناميكية في هذه المشكلة ، تلك النظرة التي سبقه فيها هنري هيد ، ج فرومان وغيرهم . وقد انجز الباحث هذه الرسالة تحت اشراف احد اساتذة النيورولوجيا البارزين وهو ي. فرومان ، تلميذ بابنسكي واحد رواد التفكير النقدي الديناميكي في الطب العصبي – النفسي .

وسنعود الى الحديث عن اعمال د. مصطفى زيور في بعثة حركة التحليل النفسي في الشرق وتنظيمها وتنميتها .

ومن الحاصلين على دكتوراه الدولة في الاداب من السربون – فرع علم النفس – د. صلاح مخيمر ، استاذ علم النفس بكلية المعلمين بالقاهرة ، د. سامي محمود على مدرس علم النفس بكلية الاداب ، جامعة الاسكندرية، والاثنان من تلاميذ د. دانييل لاجاش المحلل النفسي واستاذ علم النفس المرض بالسربون .

كان صلاح مخيمر ضابطا بالجيش واشترك في موقعة العلمين وكان من ابطالها واضطر الى ترك العسكرية بعد ان فقد بصره واحدى ذراعيه فالتحق طالبا بقسم الفلسفة بكلية الاداب جامعة القاهرة وكان من المتفوقين ثم سافر الى باريس والتحق بالسربون وحصل على دكتوراه الدولة في الاداب – فرع علم النفس – عام ١٩٥٧ وتعد رسائله أسهاما قيما في الدراسات الخاصة بعميان الحرب وفيما يلي تلخيص موجز عن اعماله .

في عام ١٩٥٣ قدم رسالة للحصول على دبلوم الدراسات العليا باشراف د. لاجاش وموضوعها : نظرية الجشطلت وعلم النفس الاجتماعي وهي محاولة للامتداد بالتصورات الجشطلتية الى مجال الحقيقة النفسية اجتماعية . ومن

النقط الهامة التي ناقشها الباحث أوجه الاختلاف بين نظرية الجشطلت ونظرية المجال كما قال بها كيرت ليفين وانتهى الى اثبات عكس ما هو شائع وهو ان ليفين ليس من الجشطلتيين . وقد وصف د. لاجاش هذه الرسالة بانها « عمل جد جاد ، دسم ، منهجي وشخصي » .

وفي ١٩٥٧ قدم صلاح مخيمر رسالتي دكتوراه الدولة في الاداب وكان موضوع الرسالة الرئيسية : « التكيف الانفعالي لعميان الحرب » وهي تقع في ٣٠٠ص تقريبا ، وكان المشرف د. لاجاش . ويحاول الباحث في هذه الرسالة رسم المنحنى الانفعالي الذي يسلكه العمى في سيرة من العصاب الصدمي الذي يستثيره الى هذه الصورة او تلك من صور الاستقرار الانفعالي التي ينتهي اليها . ولكن هذا الرسم لا يقدم صورة نمطية جامدة دائما هي علاقة مثالية تعتبر الحالات الفردية العيانية مجرد تجسيدات متباينة وتشكيلية منوعة لها . وهكذا فان وحدة العلاقة المثالية تكثر في الحالات العيانية . ولقد استعرضت الرسالة من الناحيتين التاريخية والفنية مختلف الطرائق التي استخدمت لتأهيل عيان الحرب وخاصة منذ الحرب العالمية الاولى واثناء الحرب العالمية الثانية في المعسكرين الغربي والشرقي . والفكرة الاساسية في هذه الرسالة انما تنحصر في استجلاء الطبيعة الخاصة لعملية التكييف ، ثم ما كان من خروج على هذه السنوات الاخيرة . فالوحدة الكلية من التوافقات الفيزيائية والمهنية بوجه خاص والعاطفية والجنسية الخ .. والى هذا التمزيق التعسفي لوحدة العلمية الكلية الصافة خطر العمل ، « من الخارج » مع ان عملية التكيف شأنها شأن كل تربية او اعادة تربية لا بد وان تنطلق من الداخل ، وحين يبلغ منحنى التطور الانفعالي نقطة بعينها ، عندها وعندها فقط يستطيع الكائن ان يفيد من الامكانيات الخارجية او يستخدمها او يستعيض عنها ببدائل لها . وفي هذا كله تظل القدرات مجرد وسائل يفيد منها اولا الشخص وفقا لاتجاهه من نفسه ومن ثم من الحياة باحيائها واشيائها .

اما الرسالة المكملة او الصغرى فموضوعها « المشكلات الجنسية لاعمى الحرب » وتقع في ٢٥٠ ص تقريبا ،تحت اشراف الدكتورة فافيز بوتوتييه ، استاذة علم النفس بالسربون . وهذه الرسالة تعد بحق محاولة جديدة في الفرض الذي وجهها وفي الوقائع التي استندت اليها . ويرسم الباب الاول الخطوط الرئيسية العامة للمجال الجنسي وقت الحرب . اما الباب الثاني فيتبع التغيرات التي يستثيرها العمى في المجال الجنسي ويسير معها الى نهاية مختلف مشابها المكنة . ولقد كشفت الدراسة عن الاهمية البالغة لدور التجنيس في عملية الابصار . ذلك ان العمى يستمد اغلب ثقله وينهل امر احباطاته من افتقاده الاشكال والالوان والاضواء بعد ما تكون قد اصطبغت ابان البلوغ بالصبغة الجنسية التي تحيل عالم المراهق شيئا يختلف تماما عما كان عليه . ويقدم هذا الباب ايضا صورة للانتظام الجديد الذي يتحقق في عالم الجمال الجنسي عند النخبة من المكفوفين وذلك عندما يتحقق لهم الاتزان ما تتيح لهم ان ينفتحوا للامكانيات الجديدة التي هي في معظمها لمسية حركية . اما الباب الثالث والاخير فينصب على المجال الزوجي والاسرى ويستند الى مفاهيم التحليل النفسي في رسمه لنمط الفتاة التي تنجذب الى الاعمى بصورة عامة والى اعمى الحرب بصفة خاصة . وهذا النمط ، نمط المراة المنافحة، يفرض على المجال صراعات بعينها قد تجعل من الحياة الاسرية جشطلتا اجتماعيا مقلوب القيادة او متناوب القيادة قبل ان تبلغ صورتها الثقافية السوية .

وقد واصل د. صلاح مخيمر جهوده في سبيل رعاية المكفوفين وتأهيلهم فانشأ عام ١٩٥٨ مجلة « الكفيف العربي يتحدث » ونشر الكتب الاتية :

١ ـ المجال الفيزيائي والمهني للكفيف ، ٢٠٠ ص ، ١٩٥٩، ومذيل بقاموس المصطلحات الخاصة بالتأهيل . ٢ ـ تاريخ تأهيل المكفوفين ، ١١٠ص ، ١٩٦٠ . ٣ ـ الانماط الانفعالية للمكفوفين ٢٧٤ ص ، ١٩٦١ . والناشر للكتب الثلاثة مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

وحصل د. سامي محمود علي على درجة دكتوراه الدولة في الاداب ، فرع علم النفس من السربون ١٩٥٨ . وكان موضوع الرسالة الرئيسية « الاسقاط والطرق الاسقاطية » وقد اشرف على اعداد الرسالة الدكتور دانييل لاجاسن وهي تتناول مشكلة الاسقاط في مستواها النظري وفي علاقتها بالطرق الاسقاطية المختلفة ، وركز الباحث اهتمامه حول اختبار بقع الحبر لرورشاخ واختبار تفهم الموضوع وانتهى الى عرض نظرية في الاسقاط اساسها التحليل النفسي والمنهج الفينومينولوجي وعلم النفس التجريبي تحقيقا لفكرة لاجاس في « وحدة علم النفس .

اما الرسالة الصغرى فكانت باشراف الاستاذ جان بياجيه وهي عرض نقدي منظم للدراسات التي بدأها « برونر وبوستمان في العلاقة بين الادراك والدوافع ، وهي تضع في النهاية خطوطا عامة لتفسير نتائج البحث التجريبي تفسيرا نظريا شاملا .

والدكتور سامي محمود علي عضو الجمعية الباريسية للتحليل النفسي والرابطة الدولية للتحليل النفسي ، وسنعود الى ذكر اعماله التعلمية الاخرى عند الحديث عن حركة التحليل النفسي في ج.ع.م .

وبقي لنا ان نشير الى رسالة دكتوراه في علوم التربية قدمت الى جامعة جنيف في سويسرا ، هي الرسالة التي

اعدها د. سيد غنيم تحت اشراف جان بياجيه عام ١٩٥٩ وموضوع الدراسة التجريبية تتبع سير الخداع البصري الهندسي في مراحل النمو المختلفة .

انتهينا الان من ذكر علماء النفس الذين يمثلون الاتجاه الفرنسي وهو يمثله بصفة خاصة في مجال علم النفس التكويني والمقارن د. يوسف مراد وفي مجال التحليل النفسي والتفكير الفينومينولوجي د. مصطفى زيور ، ود. سامي محمود علي . وتود الان استكمالا لعرض الاتجاهات المختلفة الاشارة الى اهم رسائل الدكتوراه التي قدمت للجامعات الامريكية ، وقد سبق ان ذكرنا احداها عند حديثنا عن التحليل العاملي للقدرات العقلية وهي رسالة د. محمد عبد السلام احمد . كما اننا سنستوفي الحديث عن بقية رسائل الدكتوراه التي قدمت للجامعات الانجليزية وذلك عند حديثنا عن الانتاج العلمي في العشرين السنة الاخيرة في مختلف ميادين علم النفس .

**ملحق عن نشاط مراقبة الاختبارات النفسية والاشراف الاجتماعي بمصلحة الكفاية الانتاجية والتدريب المهني بوزارة الصناعة .**

لما كان من الاهداف الاساسية لوزارة الصناعة رفع الكفاية الانتاجية لكافة مصادر الانتاج على مستوى الجمهورية كلها ، انشأت الوزارة مصلحة الكفاية الانتاجية لتحقيق هذا الهدف ، ثم انشأت المصلحة مراقبة خاصة بالاختبارات النفسية ١٩٥٦ وكان عملها قاصراً على اختيار اصلح العمال والتلاميذ الصناعيين المتقدمين للتدريب في المؤسسات الصناعية المختلفة وغير الصناعية التي توجد في جميع انحاء البلاد ، ثم اتسع نطاق عملها بعد افتتاح مراكز التدريب المهني للمهن المختلفة .

وعلى هذا كان لا بد للمراقبة الجديدة ان تواجه كل هذه الاعباء عن طريق تحليل جميع الحرف التي تتضمنها كل هذه المراكز ، ثم تصميم بطاريات الاختبارات المختلفة التي تقيس هذه المهن . ويرجع الفضل في تطوير هذه البطاريات ، بل في تصميمها وتقنيتها الى مجهودات د. السيد محمد خيري استاذ علم النفس المساعد بجامعة عين شمس والخبير الفني في المصلحة والى الاخصائيين النفسيين الذين كانوا يعملون معه . وقد اتسع نشاط المراقبة في ابريل ١٩٦٠ ليشمل الاشراف الاجتماعي .

وكان لزاما على المراقبة بناء على التوسع الكبير في افتتاح مراكز التدريب المهني سواء اكان للتلمذة الصناعية او للتدريب السريع – كان لزاما عليها ان تقوم بالابحاث السيكوبوجية والاجتماعية المختلفة لتطوير وسائل الاختبار والتوجيه النفسي والاجتماعي . بيد ان الاهتمام الاكبر في هذه البحوث كان قاصرا في بادىء الامر على الاختيار المهني من حيث هو الوسيلة العلمية الدقيقة لانتقاء اصلح التلاميذ والصناع للمراكز المختلفة التي تتفق مع استعداداتهم ومهاراتهم المختلفة ، كذلك تتفق وسماتهم المهنية والشخصية .

ولقد ابتدىء بالدراسات الخاصة بتحليل العمل ، فترجمت كثير من استمارات تحليل العمل الاجنبية واستخلص منها استمارة تتفق وطبيعة الظروف والبيئة المحلية .

وكان الاستمرار تحليل العمل في المراكز المختلفة والمؤسسات الصناعية ايضا الفضل في تطوير استمارة تحليل العمل حتى وصلت لصورتها الحالية ، وهي تعادل تقريبا نفس استمارة مكتب التوظيف الامريكي من حيث ان لها كتيب تعليمات خاصة بخطوات التحليل وتعريف بمفاهيم الاستمارة واجزائها المختلفة ، كما ارفق بها ايضا قائمة بتعريف السمات او الخصائص الجسمية وشروط العمل وظروفه بناء على احدث الدراسات التي تمت في مجال القدرات العقلية والسمات النفسية في الخارج حتى تكون عملية التحليل موضوعية ومقننة .

ويمكن ان نقول الان بان لدى المراقبة تحليل شبه مفصل لمعظم الاعمال والحرف التي يتدرب عليها التلاميذ في مراكز التدريب المختلفة واهم هذه الاعمال هي :

١ – الحرف الخاصة بصناعة واصلاح السيارات ٢ – الحرف الخاصة بالمعادن ٣ – الحرف الخاصة بالكهرباء ٤ – الحرف الخاصة بالنسيج ٥ – الحرف الخاصة بالزجاج ٦ – الحرف الخاصة بالجلود ٧ – الحرف الخاصة بالبناء ٨ – الحرف الخاصة بالطباعة .

وبناء على التحليل السابق لهذه الاعمال ، امكن للمراقبة من تصميم مجموعات متعددة عن بطاريات اختبارات الحرف المختلفة ، على اساس ان كل اختبار منها يقيس قدرة او مهارة مهنية كشف عنها التحليل ، وبين ان العمل يتطلبها او انها اساسية للنجاح في هذا العمل . واول هذه الاختبارات واهمها هي بطارية اختبارات حرف المعادن – وهي تعتبر من اقدم البطاريات المستخدمة في المراقبة واكثرها تقنينا ، حيث ان المراقبة تجري عليها بحوثها الاحصائية والتجريبية من ١٩٥٧ حتى الان ، حتى تستكمل تقنينها النهائي . ولقد مرت هذه البطارية وغيرها من بطاريات الحرف المختلفة بعمليات التقنين والتجريب المختلفة من تحليل وحدات الاختبارات التي تتضمنها ، وترتيب اسئلتها حسب مستوى صعوبتها ، وتقدير ثبات كل فقرة وصدقها ، وحذف الفقرات غير المميزة من كل اختبار وتقدير الزمن النهائي للاختبار في صورته الجديدة ، ثم تقدير ثباته وصدقه بالطرق المختلفة .

بعد كل هذا ضمنت بعض الاختبارات التي تقيس

قدرات معينة مع بعضها على انها بطارية واحدة تقيس القدرات والسمات المهنية المتطلبة لحرف معينة ، او لعمل معين .

وعلى سبيل المثال تتكون بطارية اختبارات حرف المعادن من الاختبارات الاتية :

١ ـ الاستدلال اللفظي ٢ ـ اختبار الذكاء الاعدادي ٣ ـ اختبار الاستدلال الميكانيكي ٤ ـ اختبار تذكر الاشكال ٥ ـ اختبار التصور المكاني ٦ ـ اختبار تكميل الاشكال ٧ ـ اختبار المعلومات الميكانيكية ٨ ـ اختبار العمليات الحسابية ٩ ـ اختبار التجميع الميكنيكي ١٠ ـ اختبار ثبات اليد .

اما الجزء المكمل لهذه البطارية وللبطاريات الاخرى ، فهو تقدير الجانب الانفعالي او الشخصي في عملية الاختبار . وتستخدم المراقبة في الوقت الحالي اسلوب المقابلة الشخصية للتعرف على هذه الجوانب لتتيح للاخصائي النفس فرصة اكبر للتعرف على المفحوص عن كثب وتقدير مدى ثباته الانفعالي وقدرته العامة على التوافق في مراكز التدريب ، وفي العمل بصفة عامة . وللمقابلة استمارة خاصة تقيد فيها ظروف الطالب الاجتماعية ونشاطه الدراسي والمهني وميوله المختلفة ،كما ان هناك استمارة اخرى تقدر فيها السمات الشخصية باوزان معينة .

ولدى المراقبة اختبارات شخصية اخرى اهمها اختبار زازلو الجمعي ـ وجرى البحث الان لتطبيقه بشكل جمعي لتقدير سمات المرونة والجود لدى الطلبة ، كما ان هناك اختبارا « خاصا » بالتوافق المهني ، بيد ان هذين الاختبارين ما زالا في طور الاعداد والتقنين ، ومن المعتقد ان نتائجها سوف تساعد في التعرف على الجوانب المختلفة للشخصية بالاضافة الى نتائج المقابلة .

وثمة بطاريات من الاختبارات لكل حرفة من الحرف المذكورة قبلا .

وجميع البطاريات السابقة خاصة بالتلمذة الصناعية ـ وهو نظام مراكز التدريب التي تقبل خريجي المدارس الاعدادية العامة ، والذي لا يزيد عن ١٨ سنة ـ ويستمر برنامج الدراسة ٣ سنوات بالنسبة لاي مركز .

كما توجد لدى المراقبة مجموعة اخرى من البطاريات المختلفة التي لم يكتمل تقنينها بعد مثل بطارية حرف البناء وبطارية حرف الطباعة وبطارية حرف التعدين ـ هذا بالاضافة الى بطاريات التدريب السريع الذي طبقته المصلحة منذ ١٩٦١ ، وهذا النظام لا يشترط في المتقدم ان يكون حاصلا على الاعدادية العامة ـ كما هو الحال بالنسبة لنظام التلمذة الصناعية التي تشترط في المتقدم ان يكون حاصلا على الاعدادية العامة ولا تزيد سنه عن ١٨ سنة ، ويستمر التدريب في نظام التدريب السريع عن ثلاثة اشهر حتى ثمانية وذلك حسب نوع الحرفة ، وهو يشمل التدريب على حرف النسيج ويمكن قبول الصانع الذي سنه اكثر من ١٥ سنة ، وحرف المعادن ، ويمكن قبول الصانع الذي يزيد سنه عن ١٩ سنة ، وحرف الكهرباء ايضا وحرف البناء . وجميع هذه المراكز تشترط في المتقدمان يجيد القراءة والكتابة ـ وتهدف من هذا النظام الى رفع مستوى الكفاية الانتاجية للعمال الحاليين او للعمال الجدد لتؤهلهم لان يكونوا عمالا ممتازين .

وبطارية التدريب السريع لا تقيس القدرات بالمعنى المعروف ، انما تقيس القدرة على القراءة والكتابة والعمليات الحسابية والذكاء العام ـ القدرة على الفهم او الاستدلال اللفظي ـ هذا بالاضافة الى الاختبارات العملية المختلفة التي سبق عرضها في بطاريات التلمذة الصناعية وذلك على حسب نوع الحرفة .

وبعد نجاح المتقدم في الاختبارات السابقة يتقدم الصانع للمقابلة الشخصية .

وتعمل المراقبة على عمل صور لاختبارات البطاريات المختلفة واستخراج معايير جديدة لها لتتفق مع التغيرات الدائمة التي تحدث في طبيعة العينة والمستويات الثقافية لها ، كما تقوم الوحدة الاحصائية بالمراقبة باستخراج معاملات الارتباط بين اختبارات كل بطارية كما تقدم ادارة البحوث بالدراسات العاملية المختلفة لاستخراج العوامل التي تتضمنها كل بطارية واختصار عدد الاختبارات ، والاقتصاد على اكثر الاختبارات تشبعا ونقاء .

### خطة الاختبار التي تقوم بها مراقبة الاختبارات النفسية

لما كان الاختيار المهني عملية منظمة تعتمد على مبادىء اساسية، لذلك لابد انيكون هناك برنامجا محددا يتبع اسلوب المنهج العلمي في كل من خطواته ، ويستوحي برنامج الاختيار خطواته من الهدف الذي يسعى اليه . ولما كان اول ما يهدف اليه هو المطابقة بين العامل وعمله ، وهو بالنسبة لمراكز التدريب المهني اختبار اصلح التلاميذ الذي يتوقع نجاحهم في برنامج التدريب ، وبالتالي صلاحيتهم لان يكونوا عمالا ممتازين في المستقبل .

لذلك يعتبر تحليل كل من العمل والفرد ، الاساس الاول لبرنامج الاختبار في المراقبة . ولقد تناولنا في بداية هذا التقرير تحليل العمل ، وذكرنا ان المراقبة قامت بتصميم استمارة حديثة لتحليل العمل مع تعريف شامل دقيق لجميع متطلبات المهنة ، بالاضافة الى تحليل معظم الاعمال التي توجد في مراكز التدريب المختلفة . ثم ذكرنا ايضا ان تحليل الفرد يعتمد على بطاريات الاختبارات المختلفة ـ حسب كل حرفة ـ وان البحث جاري الان لتقنين معظم بقية هذه البطاريات على عينات حديثة .

بيد ان تحليل الفرد بالاضافة الى اهتمامه بالنواحي العقلية او المعرفية ـ الاختبارات العقلية ـ يهتم ايضا

بالنواحي الانفعالية والمزاجية والشخصية المختلفة ، ويكشف عنها بواسطة المقابلة الشخصية ، اذ يعمل في المراقبة اكثر من عشرة اخصائيين نفسيين درب معظمهم على فن المقابلة وطريقة اجرائها وتقييم الفرد عن طريقها .

ويقع معظم التركيز في المقابلة المهنية على السمات الخاصة والسمات العامة ، وهو ما يعرف بالانفعالية العامة والثبات الانفعالي والواقعية في مجابهة مشاكل الحياة ومدى تحمل المسؤولية ، بالاضافة الى حسن التصرف وتقبل الذات واحترامها .

وتوجد خاصة لتقييم هذه النواحي باوزان خاصة ، استمارة المقابلة الشخصية .

كما نؤكد على عملية الاختبار وعلى العوامل الاجتماعية او البيئية ، لانها تلقى الضوء على كثير من ظروف التربية التي مر بها الفرد وتساعد في التنبؤ بمدى نجاحه مستقبلا في مهنته ونؤكد فيها العوامل داخل المنزل مثل الحالة الاقتصادية والظروف والمعاملة المنزلية ومشكلات المنزل وتوافق الفرد فيه ، والعوامل التي توجد خارج المنزل كالعمل او المدرسة والنشاط الاجتماعي وتقضية اوقات الفراغ .. الخ ، وتوجد استمارة خاصة بذلك تعرف باستمارة الحالة الاجتماعية .

واكثر ما نهتم في عملية الاختبار ، هو تكامل جميع البيانات عن الفرد في كل متحد من الناحية الكمية والكيفية بحيث يتضح لنا طبيعة الفرد من جميع الجوانب المختلفة حتى يتسنى مطابقتها للمهنة المناسبة .

ويبتدىء برنامج الاختبار بما يعرف « بكشف الهيئة » للتعرف على مدى الصلاحية واللياقة البدنية للمتقدمين للحرف المختلفة – طول – نظر – سن .. الخ – ، وبعد النجاح في كشف الهيئة تجري الاختبارات العقلية – على نوع الحرفة – ويبدأ عادة باختبارات الورقة والقلم ، فاذا نجح فيها بنسبة معينة حسب تقدير النسبة الحرفية وحاجة المراكز – يسمح له بتطبيق الاختبارات العملية والشخصية ، فاذا نجح في كل منها قبوله في المركز المتقدم له .

## نشاط المراقبة في غير عمليات الاختبار المهني

تنقسم المراقبة الى ثلاثة اقسام رئيسية ، القسم الاول ويعرف بقسم الاختبارات النفسية ، وهو يقوم اساسا بعمليات الاختيار المهني وتحليل العمل ، القسم الثاني ، وهو قسم البحوث النفسية يقوم اساسا بتصميم الاختبارات وتقنينها واجراء البحوث المختلفة عليها وعقد الندوات الخارجية والاشتراك فيها وحضور المؤتمرات العلمية والقيام بجميع الابحاث الميدانية المختلفة . والقسم الثالث خاص بالاشراف الاجتماعي ، ويتضمن الاشراف الاجتماعي والرياضي في مراكز التدريب المهني وفي المؤسسات المختلفة التي يتدرب فيها طلبة السنوات النهائية في هذه المراكز . هذا بالاضافة الى تنظيم النشاط الترفيهي ، وتتبع الحالات الاجتماعية وتحويلها اذا استدعى الامر الى الاخصائيين النفسيين في المراقبة . ويقوم القسم ايضا بصرف المعونات المالية والقيام بالتوجيه الاجتماعي اللازم لبعض التلاميذ واولياء امورهم . وتقوم الاقسام المختلفة جميعها في بعض الاحيان متعاونة في عملية التوجيه الفني والاجتماعي بالنسبة لبعض الحالات او لبعض المراكز التي يظهر فيها اي مشاكل اجتماعية او تربوية .

وبالاضافة الى ذلك تقوم المراقبة باختيار التلاميذ والصناع المتقدمين الى المؤسسات المختلفة في القطاع العام ومراكز التدريب فيها .

## اهم البحوث التي قامت بها المراقبة

قامت المراقبة منذ انشائها بتنفيذ كثير من البحوث السيكولوجية والاجتماعية . اذ بالاضافة الى بحوث تحليل العمل وتصميم الاختبارات المختلفة واستخراج معاييرها المختلفة وتقدير معاملات ثباتها بالطرق الاحصائية المعروفة ، قامت ادارة البحوث باجراء دراسات مختلفة على هذه الاختبارات لتقدير مدى صدقها التجريبي سواء اكان ذلك بالطريقة التتبعية او بطريقة العمال الحاليين .

كما بذلت كثيرا من المحاولات لتحديد محكات مناسبة نرجع اليها في دراسات الصدق المختلفة ، كان اهمها ، النجاح في برنامج التدريب المختلفة سواء اكانت نظرية او علمية . ولقد اكدت هذه الدراسات صدق بعض اختبارات البطاريات المختلفة ، وعدم صدق البعض الاخر – وهو الذي نقوم بتعديله او تغييره ليرفع من الصدق الكلي لبطاريات الحرف المختلفة .

كذلك يقوم قسم البحوث بعمل البحوث العاملية المختلفة على البطاريات المتنوعة ، وقد ركز اساسا على بطارية المعادن وامكن استخراج مجموعة عوامل مستقلة بطريقة الجمع البسيط لسيرت ، واهم هذه العوامل يعرف بالذكاء الميكانيكي العام ، والقدرة المكانية ، والقدرة العملية ولقد اكدت هذه الدراسات ان معظم اختبارات بطارية المعادن تقيس قدرات مستقلة نوعا وغير متداخلة مع بعضها الا في حدود ضيقة .

كما تم اجراء اكثر من بحث على المقابلة الشخصية لتطويرها ومحاولة توحيد اساليب اجراء اكثر من بحث

على المقابلة الشخصية تتعلق بسن المقابل وخصائصه السيكولوجية ، كما تتوقف على مدى ما حصله من تدريب وخبرة وقراءات مختلفة ، وان كل مقابل له نمط معين في التقدير يختلف عن غيره من المقابلين اختلافا كميا . وبعد اجراء برامج التدريب موحدة للمقابلين ، امكن في البحث الثاني اثبات تقارب المقابلين مع بعضهم في كل من اساليبهم ونمط تقييمهم للافراد .

هذا بالاضافة الى البحوث الاخرى المتعلقة باختبارات الشخصية ، مثل اختبار زازلو واختبار التوافق المهني وبعض الاختبارات الفردية .

وفيما عدا ذلك تقوم المراقبة باعداد برامج لتدريب المشرفين والمدرسين من الوجهة السيكولوجية وتعرفهم بعلم النفس واصول التربية والتعليم ومبادئه الاساسية ، وهذه البرامج قاصرة على مصلحة الكفاية الانتاجية فقط . وهي دورية منتظمة ، خصوصا بالنسبة لمعهد تدريب المدربين التابع للمصلحة .

كما قامت ايضا بالاشتراك في المؤتمرات الدولية – مثل مؤتمر التلمذة الصناعية الدولي – لدول حول البحر الابيض المتوسط ، وقدمت فيه بحوثا خاصة بالاختيار والتوجيه المهني في مراكز التدريب العربية . واشتركت ايضا في مؤتمر تنمية الانتاج البشري الذي عقد فياغسطس ١٩٦٣ في الاسكندرية وقدمت فيه بحوثا عن علاقة الاختيار والتوجيه المهني بزيادة الانتاج البشري وتطويره .

---

(١) انظر مجلة علم النفس ، المجلد الاول ، العدد الاول يونيو ١٩٤٥ ، ص ٩٨ – ٩٩ « علم النفس بريء من .... »

(٢) مما هو جدير بالذكر ان فخنر ( ١٨٠٠ – ١٨٨٧ ) لم يكن نشاطه مقصورا على علم النفس التجريبي . فقد بدأ حياته العلمية بدراسة الطب واصبح استاذا لعلم وظائف الاعضاء ثم لعلم الفيزياء ، وله مؤلفات في الفلسفة وعلم الجمال .

(٣) تناول فوندت هذا الموضوع في كتابه سيكولوجية الشعوب الطبعة الاولى سنة ١٩٠٠ والطبعة الخامسة سنة ١٩٢٠ في عشرة مجلدات .

(٤) لم يرد ذكر « علم النفس التطبيقي » في طبعة ١٩٠١ لقاموس بولدوين في الفلسفة وعلم النفس .

(٥) انظر ، اضواء على تاريخ التعليم في مصر ، الباب الثاني ، ص ٣٠ ، اعداد محمد توفيق خفاجي ، اشراف ومراجعة الدكتور ابراهيم حافظ ، مركز الوثائق والبحوث التربوية بوزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٩٦٢ .

(٦) حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، تاليف جاك تاجر ، دار المعارف بمصر ١٩٤٦ ، ص ٥٥ و ٦٧ .

(٧) من تقرير ارسله الينا الاستاذ محمد مظهر سعيد ، عميد تفتيش علم النفس والاجتماع والفلسفة والتربية بوزارة التربية والتعليم سابقا.

(٨) لاستبعاد فكرة السيال المغنطيسي استخدم المقتطف لفظة «استهواء» ترجمة لهبنوتزم في مقالة عنوانها « الشفاء بالاستهواء » في عدد يوليو ١٩٠٩ ( ٦١٧ – ٦١٩ ) . وقد اقترح كاتب هذا المقال لفظة « نوام » بدلا من « التنويم المغنطيسي » .

(٩) ترجم هذا الكتاب الى اللغة الانجليزية في عام ١٩٣٤ جون ووكر .

(١٠) ثلاثون سنة بعد كتابة هذا الكلام القى الدكتور مصطفى زيور في ١٠ فبراير ١٩٥٢ بدار الحكمة تحت اشراف الجمعية المصرية للصحة العقلية محاضرة عالج فيها باسهاب وتعمق وفي ضوء التحليل النفسي موضوع التعصب واعتبر التعصب ضربا من الامراض النفسية فهو يقول « فالمتعصب اذن يجنى من موقفه كسبا ، غير ان هذا الكسب لا يختلف عما يجنيه العصابي من سلوكه الشاذ ، اي انه كسب وهمي ناقص يفوت على صاحبه فرصة حل اشكاله حلا رشيدا واقعيا مجديا . انظر ص ٣٠٠ من مجلة علم النفس المجلد السابع فبراير ١٩٥٢ ، نص محاضرة الدكتور مصطفى زيور : سيكولوجية التعصب ، ( ص ٢٨٥ – ٣٠٠ ) .

(١١) راجع ص ٤٨ – ٥٦ من التقرير العام الذي رفعه كلاپاريد الى وزارة المعارف العمومية المطبعة الاميرية ١٩٣١ ، ٧٢ ص زائد جدول ورسمان بيانيان . للوقوف على تاريخ معهد التربية ثم كلية التربية والاقسام والمناهج راجع دليل كلية التربية جامعة عين شمس – طبعة سنة ١٩٥٩ . دليل عام ١٩٦٣ تحت الطبع عند كتابة هذا التقرير .

(١٢) اعتمدنا في الحديث عن الرسائل على البيانات التي وصلتنا ردا على الخطاب الذي ارسلناه الى المشتغلين بعلم النفس في ج.ع.م. هذا بالاضافة الى اطلاعنا الشخصي على بعض الرسائل كلما تيسر لنا ذلك .

(١٣) نشر البحث في مجلة علم النفس الاحصائي التي تصدرها الجمعية البريطانية لعلم النفس عام ١٩٥١ . وتوجد خلاصة باللغة العربية في مجلة « صحيفة التربية » عدد مايو ١٩٦٠ .

(١٤) نشر ملخص الرسالة بالانجليزية في عام ١٩٥٢ .

(١٥) انظر : الدكتور فؤاد البهي السيد : القدرة العددية ، الطبعة الاولى ١٩٥٨ ، ١٧٦ صفحة ، ص ١٣ .

(١٦) نشر باللغة الانجليزية في مجلة علم النفس البريطانية القسم الاحصائي – عدد نوفمبر ١٩٥٦ والملخص العربي في الكتاب السنوي في علم النفس ١٩٥٤ من ص ١٦٣ الى ١٨٤ .

(١٧) هناك بحوث عاملية اخرى تتناول التفكير الابداعي وسمات الشخصية وابعادها سياتي ذكرها . وكان بودنا ان نعرض للبحث الطريف المبتكر الذي قام به د. فؤاد البهي السيد في محاولته البرهنة على ان القدرة العددية ليست وحدة متماسكة لا تنقسم الى قدرات ابسط منها . وقد توصل في بحثه الى تقسيم القدرة العددية الى ثلاث قدرات عددية بسيطة هي : ١ – القدرة على ادراك العلاقة العددية . ٢ – القدرة على ادراك المتعلقات العددية . ٣ – القدرة على الاضافة العددية .

والبحث مثال نموذجي في عرض خطوات المشكلة ومراحل حلها . ولكن هناك سؤال تثيره القدرة الخاصة بادراك العلاقات والمتعلقات العددية وهو خاص بالتمييز بين الشكل ( اي عملية ادراك العلاقات والمتعلقات مهما كانت طبيعة الاطراف ) ، والمضمون ، ( وهنا هو العدد وقد يكون غير العدد مثل رموز واشكال او غيرها من المعطيات الحسية او الفعلية ) . وحبذا لو اسهب المؤلف في توضيح هذه المشكلة اكثر من الاشارة البسيطة التي وردت في ص ١٧٤ من كتابه الى احتمال الشبه بين التكوين العاملي للقدرة العددية كما اسفر عنه البحث ونظرية العاملين لاسبيرمان .

* الدكتور فؤاد البهي السيد : « القدرة العددية » من سلسلة « ابحاث تجريبية مصرية في علم النفس » ١٧٦ ص ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٨ .

(١٨) نشر هذا الفصل في مجلة علم النفس ، المجلد الخامس ، العدد الثالث ، فبراير ١٩٥٠ .

القاهرة — يوسف مراد

# ليـالي

## الليلة الاولى

ماترى سر الشقاء ؟
ما الذي يملأ عينا ببكاء
ما الذي ينثر صخرا في الطريق ..
ويفح الثورة العمـياء في جوف العروق ؟
ما الذي يصلب اشباح الاسى في مقلتين ؟
اى سر ضم سرا مهجنين . .
ياعيون العاشقين ..
ما الذي يسقي على درب الهموم
زهراتي يانجوم
ما الذي يفتح للانسان او يغلق باب ؟
والذي يكحل عينا دون اخر بضباب ..
ياصاحبي الشاعرين
ما الذي يدفع هذا خطوتين
في طريق الحائرين
خطوة كانت تقيه صحاب .. !

## اليلة الثانية

ما الذي يجعل انسانا من الناس شقيـا ؟
من هنا .. يملك ميزان العطايا ؟
اي نهر يتدفق ..
اي فكر يتمزق ..
اي خندق ؟.
تـوارى في سراديب دجاه
لما لاتعرى لعيني المرايا ؟
وارى وجه الحياة ..
ليتني ما كنت يوما ادميا !!

## الليلة الثالثة

فكرة تمسح اعتاب الجبين
بي اشتياق للنجاوى وحنين
والمنى تزحم ابعاد عيوني
وجموع الشك تغتال يقيني
ما الذي يهوى يراعي ان يقول ؟
مرت الليلة .. لا ادري مسير الكلمات ..
قلمي يعمه في نور الورق ..
ام يهذي اي شيء في السطور ..
صفحات الفكر تندى بالعرق
آه ما اضيق تلك الصفحات
آه لو تفسل اعماقي دموع . .
علني اكشف ما خلف الضلوع ..
علني ادرى مسير الكلمات . !

## الليلة الرابعة

ليتنى اعرف للغز جوا ب..
ما الذي يفتح او يغلق بابا دون باب . ؟
ما الذي يجعل انسانا من الناس شقيا ؟
والذي يسقي على درب النجوم
زهراتي ياهموم ؟

## الليلة الخامسة

هكذا .. ضل خيالى في مساء !
ياخيال الشعراء ..
فوق مرآتي سنى طيف حبيب
وعلى سمعي نداء لايؤوب ..
وبكفي دفء كفيها يذوب ..
فاحجبوا طيف اساها وجنونـي
صور الاشياء غامت في عيوني
كف عني يا خيال الشعراء ..

## الليلة السادسة

عندما يسدل في الليل ستار
عندما تاوى الى العش عصافير النهـار
وعن الاعمـاق .. ينزاح القناع
يتعرى العاشقون ..
يتنادى الساهرون ..
انتظي فوق نار
باختصار ..
احترق ..
اتردى خلف قاع !..
فارفعيني يا سماء ..
فانا المصلوب في قبض الهواء
وانثريني في متاهات الفضاء
واسقينها يا فتاتي
دثريني بالضياء
ان في غورك ينبوع صفاء . .
خورة الامال ترياق حياتـي
يا حياتي واغفر لي ثوراتي ..
انها اتعس ما في ذكرياتي ! .

## الليلة السابعة

مرت الليلات .. لا ادري مسير الكلمات ..
يا اراجيح الليالي
جفت الاغصان في حقل خيالي ..
فاعصفي يا ريح اني لاابالي . .
سار في اليم شراعي او سرى فوق الرمـال
فمي الفد .. وعيناها .. وشدو الصفحات ..
فاعصفي يا ريح اني لا ابالي . .

القاهرة — فتحي سعيد



محمد رجب البيومي

# أمير طامح يحلم بالملك

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

تغيرت الدنيا في عين المنذر ، منذ ثار عليه رعاياه ، واخذ ينظر الى الملك كعبء ثقيل يضغط عليه بكلكله . وكثيرا ما خلا الى نفسه ليسرح بخواطره في هموم حياته، ومشكلات بيته، وليتساءل : أي نفع لي في ملك موهوم تقوم حوله الدسائس والسعايات ويستطيع فرد كزيد بن حماد ان يؤيده او يهدمه ان شاء ،ان جميع اهل الحيرة يعتقدون ان زيدا صاحب الفضل الاول في بقائي بالخورنق ، وانهم ليلتفون حوله مذعنين طائعين ، وكأنه يعصب راسه بتاج معنوي يجذب اليه الارواح والقلوب ! ثم ما فائدة تاجي الذهبي الذي أضعه الان خزيان غضبان على راسي ، دون أن يكون له تأثيره المرهب واشعاعه الاخاذ كما كان لتيجان اجدادي من المناذرة الاولين !! لقد بدأت استشعر حقدا خافيا تنسج خيوطه متتابعة في قلبي حول زيد ومكانته ! والرجل كما تشهد الحقيقة لم يسلف الى غير الحسن الجميل ، فقد حفظ حياتي الى حين ، وحفظ اسمي بين اسماء الملوك كذلك الى حين ، وكان في يده أن يقول كلمة واحدة فأطيح واهوي الى حيث هوى عمرو المسكين !! هل استطيع ان اغير طينة الآدمية في كياني فانسى ان الرجل قد اخذ مكاني، بين الناس، وانه يتمتع باكبار الاكاسرة ، واهل الحيرة تمتعا يوخزني بطعناته ، ويتركني ، على مثل الشوك قلقا وضجرا ، بل أن المتجردة نفسها وهي زوجتي الاثيرة لدى تحدثني عنه وكأنه رئيس يأمر فأطيع ، ومن يدري لعلها تتخذ من اطرائه مادة دسمة لاهانتي حيث لا استطيع ان ارد اهانة مجترىء يأتي بحرابه المسمومة من ناحية زيد !! هل اعنف عليها فأعارضها القول في غلظة ؟ نها ستسكت حينئذ سكوت الهازىء المتهكم، وستنظر الى ضعفي وهو اني شامتة عابثة !! لقد تورطت كثيرا حين اقدمت على اغتصابها ، ولا اقول زواجها ، فهي عني بمنأى شاسع لا تستشعر حنان الزوج بل تعدني سيفا مصلتا على شبابها الريان، وتتمنى في اعماقها ان تحين ساعتي فتنقذها الاقدار من بلاء كريه، اي نعيم ارتضيه في أحضان الخورنق، وسلطاني صوري ، وزوجتي شامتة ! والمرض يلوح لي بالموت من حين الى حين . . .

تلك بعض احاديث المنذر بينه وبين نفسه ، وتلك بعض خوالجه عن زيد وعن المتجردة ، ولو أطلع على سرائر الناس لعلم ان ولده النعمان بن زيد من المتجردة معا في بحر هائج الافكار ، فهو لا يفتأ يفكر فيهما تفكير المستغرق الدءوب ، وما له لا يفكر في زيد ، وقد لمس نفوذه الطاغي بين الناس عند البلاط الكسروي في فارس ، انه لا يستطيع ان يرتقي الملك بعد أبيه الا اذا كان زيد ظهيره الامين ولن يتاح له ان يزدان بالتاج في الخورنق الا اذا رضي عنه ذلك الرجل الحكيم ، ثم اين هو من التاج اذا لم يظفر بمعونة قوية تأتيه عن طريق زيد ! وهو القصير الابرش الدميم ؟ ايجوز ان تقع عين كسرى على خلقته الشائهة ، ودمامته المستنكرة ثم يأذن له بالجاه والصولجان عن طواعية واختيار، واخوه الاسود بن المنذر يفرع العين ويبهر النفس بشبابه الريان وقوامه الخطى ، وجبهته اللامعة ، وطلعته الرائعة ومنطقه الفصيح ! ما له يغرب في الامل وابوه المنذر نفسه قد فاتح الاسود في توليته الملك من بعده ، على مرأى ومسمع من النعمان دون ان يجول بخاطره لحظة واحدة ان هذا الابرش القصير الدميم ممن يجوز ان تسند لهم اعباء السلطان !! لا بد من معجزة حقا ، ولعل الاقدار تيسرها عن طريق زيد بن حماد . . ! ثم يتناسى الملك لحظات ، ويمضي به خياله الى المتجردة الفاتنة الطروب !! ان تقاليد المناذرة تقضي ان يرث الملك زوجات ابيه بعد وفاته ، ولئن حل المكروه بالمنذر لتصبحن المتجردة زوجة للملك الجديد . ولعلها في ما بينها وبين نفسها تحلم بالاسود اخي ، فهو يرضى شبابها البارع صباحة وجه ، واعتدال قوام ، ووفرة قوة ، بل لعلها تعد أيام الشيخ المريض لحظة لحظة لتنتقل راضية قريرة الى احضان الاسود فتنسى في صباحه الوضيء ظلاما حالكا تعيش فيه مع العجوز المريض، ان زيد بن حماد لو رضى عني وآثرني باتجاهه لوضع على راسي التاج ولوصلني بالمتجردة دون ابطاء ، وقطع كل لسان يهم بالاعتراض ؟ كيف السبيل الى قلبه المنيع ؟ لا بد ان اغزوه من ناحية الدين ، فتلك التي تحوطني بانتباهه ، وتؤثرني بعطفه وتشجيعه وتجعله يغتفر ما بخلقتي من تشويه ، وسأنهض الى منزله بالصباح فأستميله ببعض الحديث !!

كانت ليلة حافلة بمثل هذه الهواجس المتضاربة لدى المنذر وابنه المتطلع الطموح حتى اذا اشرق الصباح، نهض النعمان من مخدعه نشيطا موفور العافية وتناول طعامه على عجل، ثم اصلح من لباسه وشأنه، وركب جواده الاشهب ميمما وجهة زيد، فسأل عنه في تلهف، فأخبر انه يتعبد في بيعة العباديين منذ الفجر، ودعى الى النزول بالبيت حتى يقدم بعد حين، فحار لحظة لا يدري بماذا يجيب ؟ ثم صمم على ان يشخص اليه سريعا في البيعة، وسيكون المكان مناسبة طيبة لتداول الحديث، وما هي غير لحظات، حتى دلف الى مجلسه، وتوقع زيد من صاحبه ان يحدثه عن جديد لا يدريه من امر المنذر، اذ ان اسراعه بالمجيء الى هذا المكان في غير وقت الزيارة ومحلها، يؤذن بضرورة عاجلة تتطلب البت السريع، ثم نظر الى النعمان فوجده يطرق براسه دون ان يبادر بالقول، فاحب ان يمهد له سبيل الكلام فسأله في بشاشة ؟ كيف حال المنذر اليوم ؟

فرد النعمان يخبره عن هدوئه واستقراره ثم رفع اليه بصره ليقول :

لم أجيء اليك ايها السيد الجليل لنتحدث عن الملك او السلطان، ولكني هرعت لاسكت قلقا ثائرا يأخذ على مسالك الطمأنينة والثبات، وليس في الحيرة جميعها من يأخذ بيدي الى النجاة الامنة سواك، واني لارجو على يدك اليقين

فنظر زيد متعجبا وقال في هدوئه المتزن، أفصح عما يجول بخاطرك يا نعمان، فنحن في منزل شريف تهدأ به النفوس، وتستريح الخواطر المزعجات !!!

فصعد النعمان زفرة حارة من صدره، كأنه يعالج همـا دائبا يملؤه باللهيب وقال في الم مصطنع، وهل تشغل خواطري ؟ وهيج ثوائري غير هذا المنزل الشريف الذي نسعد به الان، لقد فكرت يا سيدي كثيرا فيما نحن عليه معاشر العرب من وثنية تقادس الاصنام، فرأيت البلاهة البلهاء في عبادة حجر اصم لا يبدي نطقا، ولا يملك مضرة او انتفاعا وكنت اضحك من نفسي ومن قومي حين نتهالك جميعا على تقديس صخور بكماء تنحتها المعاول تارة وتحطمها تارات، ثم اجلت بصري في عبادة المجوس من اهل فارس، فلم ار للنار المشعلة في بيوت العبادة جدوى عظيمة تدفع بها الى التقديس والتأليه، وقلت في نفسي كيف يستجيز كسرى العاقل الحصيف ان يسجد لنار يوقدها بيده متى يشاء، ثم يطفئها ايضا بيده حين يريد، ولم اجد فارقا ملموسا بين النار التي يؤلهها المجوس، والاصنام التي يقدسها العرب، وظلت امواج الدهشة تغمرني بطوفانها الجياش، فتجعلني ريشة في مهب ريح نكباء ... ثم فكرت فيكم معشر النصارى من ابناء الحيرة فرأيتكم تقصدون ربا سميعا بصيرا عاقلا يرى مدب النمل في الظلام، ويسمع حركة الدودة المتقلبة في باطن الغبراء، فقلت في نفسي ان كان هناك من رب يعبد على وجه الصواب فهو رب زيد بن حماد !! وظللت الليالي الطويلة افكر في امري، واسأل عن وجه السداد في طريقي، حتى قوي عزمي على مكاشفتك، واني لاعلن اليك نصرانيتي لاهدأ من شجوني العاصفات !! فنظر اليه زيد كالمأخوذ بما يسمع وقال : ان في بعض ابناء المنذر لعقلا، وكنت يئست ان اجد فيهم من هو على شاكلتك من الصواب والسداد، وها هو ذا املي المتجدد يكشف ضباب اليأس الحائر عن عيني، غير اني لا ادري كيف تواجه اباك وقومك بدينك الجديد، اسمع يا بني ان التاريخ يحدثنا ان النعمان الاول بن امرىء القيس قد مال الى تفكير مثل تفكيرك فخذله بنوه وعشيرته، ثم لبس المسوح وترك الخورنق، وهو الذي اشرف على بنائه، وكلف « سنمار » فشاده على احسن مثال، اجل، لقد لبس المسوح وترك الخورنق فارا بدينه الى الفلوات فلقي الله على دين المسيح، ولا احب لك ان تجهر بما تعتقد، فيخذلك الخاذلون، وليس لك من الملك والسيطرة الان ما يسكت عنك الالسنة ويخرس الافواه، ولكن دعني افكر في امرك وسيجيء اليوم الذي تظهر فيه على النـاس، فتجهر بمعتقدك في منعة من سلطانك ومعقل من سلاحك الحصين !!

فتجاهل النعمان ما سمع ! وكأنه غير عابىء بما يشير اليه الشيخ الجليل، واردف يقول : ولكن اخلاصي النصرانية يدفعني الى ملازمتك، فهل تتفضل بالسماح لمثلي في الترداد عليك متى اريد ؟

فصاح زيد، اما في البيعة فلا، كيلا يفطن احد الى معتقدك النبيل واما في المنزل فأنت كولدي عدي تحضر متى تشاء ومن يدري لعلي بعد ما علمت من شرف تفكيرك وجلال دينك اتعزى بمرآك عنه في اغترابه النازح، وسفره البعيد !!

قال النعمان ستراني كثيرا ياسيدي منذ الان، وسأحرص على كتمان امري كما اشرت، وان شق على ان اخفى الحق واظهر الباطل، ولكن شأني بيدك تصرفه حيث تريد ! ثم نهض مستأذنا فصافحه زيد، واحتضنه وقبله، وخرج النعمان وفي نفسه امل، وفي خاطره حديث تعود اهل الحيرة ان يروا النعمان بن المنذر دائم الشخوص الى منزل زيد بن حماد، فكانوا يفسرون زياراته المتكررة على انها تأدية لرسائل كثيرة من الملك المريض الى صديقه الحميم على يد ولده النعمان، ولم يكن من المستغرب في انظارهم تكرر هذه الزيارات، فزيد رئيس قومه، ورسل كسرى تأتيه كما تأتي المنذر سواء بسواء، بل ان نصارى الجزيرة العربية، يرون فيه عربيا ماجدا يلوذون بجاهه ونفوذه فما تلم بأحدهم ملمة في مكانه القصى الا نزح لزيد يستعينه ويستهديه، وقد استطاع النعمان ان يغزو اقطار نفسه من جهاتها المختلفة، فهو يوقفه على آماله الواسعة في نشر المسيحية، ويستجيب الى توجيهاته ويعدها غنيمة كبرى يظفر بها دون الناس، وقد الم بدقائق الصلات بين زيد والبلاط الكسروى فعرف ان حاشية الملك العظيم تضعه

موضع الاجلال ، وتعده رجل فارس في الحيرة ، وكم ودت ان تلبسه التاج لولا تأبيه ، ثم ادرك ان عدي بن زيد الشاعر العربي يأخذ مكانته الجهيرة في الايوان ، فهو الذي يكتب الرسائل ، ويرفع امور الحجاب ورجال الحكم الى مسامع العاهل الكبير ، وعلم النعمان عن طريق زيد ان عديـــا سيقوم بسفارة قريبة من لدن كسرى الى امبراطور الروم، وسيمر في طريقه بالحيرة ليرى اباه ، ويقضي معه ساعة من نهار ، ثم اسمعه الاب الجليل ما كتبه عدي اليه في ذلك وقد حدد اليوم والوقت ،فأعمل النعمان فكره الطامـــح ، ورأى ان يظهر امام عدي مظهرا يدنيه الى قلبه ، ليكـون هو الاخر عونا له في مستقبل امره متى حان ، وكتم نيتـه هذه عن زيد ، حتى حان موعد زيارة عدي ، فأعد موكبـا حافلا من جنود الحيرة ، ليتقدم بهم الى استقباله ، وملأ ضفاف الدير بالاعلام ، واذن في الناس ان القادم الوافـد لا يمثل نفسه ، ولكنه رسول كسرى الى المنذر !! وكـان لعدي من المكانة في الحيرة مثل ما لابيه ، فما علم الاهلون بمقدمه حتى نشطوا الى ضفاف الدير ، مشتركين فـــي موكب الاستقبال ، وقد دهش الاسود بن المنذر لتصرف اخيه ومبالغته في الاحتفاء على نحو غير معهود ، واسرع يقابله لائما مستنكرا ، فأفهمه في لباقة كيسة ان كسرى قد كتب الى المنذر بضرورة استقبال رسوله كما يستقبـــل الملوك والامراء وانه قام بهذا الاحتفاء على مضض كريـه ، ولو استطاع لعصف بعدي وابيه ، ولولا ان المنذر نفسـه يلزمه بزيارة زيد كل يوم ما تحمل مذلة التردد على سوقة لا يحمل التاج ولا تجري في عروقه دماء المناذرة من آل النعمان ، وقد اطمأن الاسود الى حديث اخيه ، وهـرع ليكون في طليعة المستقبلين وازف الموعد ، فرأى عدي مـا اذهله من الحفاوة وراعه ، من الاهتمام مما لا عهد له بـه قبل الان ثم اصطحبه النعمان الى الخورنق فسلم منفردا على ابيه المنذر ، وانكفأ الى منزل والده زيد ، ليعبر له عن دهشته البالغة لما قوبل به من الاحتفاء ! وكان النعمـــان حريصا على ان يلازمه حتى في مخدع ابيه ، ولم يجد زيد من الفضاضة ما يدفع به النعمان عن مستتر حديثه ، وقد اصبح موضع ثقته ، ومناط امله في نشر النصرانيـــة ، فاستقبل ابنه عديا بوقار الشيخ وحنان الاب ، وشد على يد النعمان شاكرا جهاده الصادق في الاحتفاء بولده ثـم حدق في وجه عدي ليقول له بمسمع من النعمان .

انت يا ولدي تعرف عن النعمان بن المنـذر مـا يعرف الناس من حزم الامير وعلو همته وكماله ، ولكنك تجهـل اعظم شيء عنه ، تجهل انه على دين آبائك من العباديين ، وقد اراد المجاهرة بمعتقده ، فأمهلته الى يوم قريـــب يستطيع فيه ان يخدم دين الله ، فنظر عدي نظرة المتعجب وسأل في دهشة : ومتى تم ذلك يا ابتاه ؟ فأسرع زيـــد يقول : لقد خالطت الامير وكاشفته فعرفت ان النصرانية تتردد مع النفس في رئتيه وتجري مع الدم في شرايينه .

ووالله ما دفعه الى استقبالك اليوم في مثل هذا المشهـد الرائع غير ما يعتز به من نصرانيتك ، ثم ارتفع صوت زيد بنبرات تنبيء عن الجد وهو يقول :

واعلم يا عدي ان المنذر مريض طريح فهو هامة اليوم او غد ، ولئن حل به ما يحل بالناس ليكونن النعمان وحـده بين اخوته الاثني عشر موضع التزكية والتأييد ! فارتفـع صوت النعمان يقول في انفعال متكلف ، لا اريد ان اشغـل نفسي بالسلطان فيعوقني الملك عن خدمة النصرانية ، وهي مأملي العزيز ، ولكني اوثر التفرغ لها بعيدا عن الحكـم واعبائه الثقال ! فتدارك زيد يقول في غلظة : مهلا يـــا نعمان ، اراك لا تدري شيئا عن حقيقة امرك يا بني ، ان المسيحية تحتاج الى قوة عاتية تزود عنها كل طغيان ، ولن تكون هذه القوة لغير ملك مطاع !! فأسرع عدي يقول هـو ذاك دون نزاع ! فصاح النعمان ولكني وهبت نفسي للمسيح لا للسلطان !! فتبسم زيد وهو يهتف ! وماذا تصنع فـي السيد المسيح اذا رغب ان يكون تابعه مليكا يظهر دين الله!!

فأطرق النعمان دون جواب، وتشعب القول كل متشعب فانطلق عدي يتحدث عن سفارته الى بلاد الروم ، ويوضح خفايا العلاقات السياسية بين كسرى وقيصر ، حتى اذا مضى بعض الوقت في مثل ذلك ، نهض النعمان مستأذنا فاحتضنه زيد مقبلا ، وصافحه عدي مصافحة حـارة اذ ضغط على يده مؤكدا حبه واهتمامه ، وقد فهم النعمان من مصافحته اشياء كثيرة لعل اهمها لديه ، انه اصبح ساعده الايمن في بلاط فارس وان الفوز منه على خطوات

القيوم **محمد رجب البيومي**




شيخ المنطقة الثري محبوبا من مواطنيه دائم الدأب والعمل لاسعاد ذويه ومحبيه .. وكان بطبيعة عمله يتلقى الاوامر من الرؤساء الفرنسيين ، فلقد كان موظفا ، وكجميع الموظفين في بلاده يخضع للقيادة الفرنسية العليا ،التي تدخلت في جميع شؤون البلاد ، واستولت على جميع الادارات وفرنست المكاتب والمدارس والمعاهد وسعت السعي الحثيث لتقلب الاوضاع ، وتبدل التقاليد والعادات، وتخضع لاوامرها ونواهيها كل فرد من الافراد .. ففرنسا لم تأت للبلاد لتبقى زمنا تخرج وتتركها لاهاليها. ان غايتها محدودة واهدافها معروفة فكل املها ان يبقى مصير البلاد المستعمرة والمحمية بين يديها تنهي وتأمر فيها بما تشاء .. كل الويل لمن يتجرا ويرفع اصبعه للاعتراض ، ويطالب بقوميته المفقودة وحريته المسلوبة ، ويسعى للتخلص من هذا الضغط والاستعباد .. ففرنسا لا تترك لمثل هذا الانسان الحق للتجول في انحاء البلاد وسرعان ما تعمل لاتهامه والقبض عليه بتهمة المروق والخيانة ، وتزجه في اعماق السجون او تأمر باعدامه فيجب ان يبقى كل شيء خاضعا لارادتها ، الموظفون والتجار والعاملون ، وحتى النساء والاطفال .

هؤلاء الاطفال الذين تتسلمهم في مدارسها صغارا لتعلمهم تاريخ فرنسا ومجدها ولغتها ، وتحاول ان تنسيهم تاريخ اجدادهم واصول لغتهم وتجعلهم متفرنسين بكل معنى الكلمة .

ومن العجيب ان تستمر فرنسا في هذا الطريق من الظلم والطغيان ، والاعجب من ذلك ان لا يلقى ضغطها صدى في نفوس المحكومين ، رغم سعيها الحثيث ومحاولاتها المتكررة ، وظلمها وشرائها بعض النفوس الضعيفة بوفير المال .. لقد ادى ضغطها الشديد في اخر الامر للانفجار ، وتألبت جموع الشعب ضدها ،وحمل المجاهدون السلاح ، ليقاوموها مقاومة عنيفة ، ويقفوا منها موقف الند للند ، ويجاهروها بشق عصا الطاعة والعصيان .

ولم تفد هذه المرة قواتها العتيدة ولا مدافعها ولا طائراتها .. كانت الثورة التي تأججت في الصدور زمنا طويلا ثم انفجرت اقوى من الحديد والنار : وكل ما تملكه فرنسا من وسائل ومعدات حربية .

واصبح اغلب الموظفين يخدمون ظاهريا مع فرنسا ولكنهم لا ينفكون






بقلم ناجية ثامر

من حوك المؤامرات ضدها في منازلهم وتقديم المساعدات للثوار سواء كان مالا او عتادا او معلومات .. فليس هناك كبير ولا صغير ، غني او فقير ، لم يقف مع الثوار قلبا وقالبا ، ولم يتمن لهم النجاح والانتصار من اعماق فؤاده ..

ولم يخرج عن هؤلاء المواطنين الاحرار الا قبضة من ضعفاء النفوس الذين اغواهم المال والجاه ، فوضعوا مستقبلهم ومصيرهم في يد فرنسا ، وخافوا ان يفقدوا ما كسبوه في عهدها من مال وعتاد ، وانضموا اليها يظهرون لها المحبة والاخلاص والولاء




.. والشيخ مداح لم يكن من هؤلاء ، كان يقوم بوظيفته نهارا ، ويتظاهر بطاعته للاوامر الفرنسية العليا ، وفي نفس الوقت كان يمد الثوار بجميع المساعدات في الخفاء ..

وقد عرف الثوار اخلاصه لهم واسراعه لمعاونتهم ، فكانوا لا ينفكون من طرق بابه لطلب شتى الحاجات حين ينام الناس ويجلبب الكون الظلام .. ثم اخذ حذرهم يتضاءل شيئا فشيئا ، فاصبحوا يردون عليه ليتناولوا الغداء او العشاء عنده ، بعد ان كانوا يرسلون من يحمل من عند الشيخ مداح بعض المواد اللازمة .

وكان في الامكان ان يداوم الشيخ مداح مد اخوانه الثوار بكل ما يحتاجون اليه من طعام او كساء ، لولا وشاية احد مأموريه شاء ان تسبغ عليه فرنسا حمايتها ، وتعزل الشيخ مداح من منصبه لتوليه مكانه مشيخة المنطقة ، فيتمتع بالحلم الذي كان يتلمظ من اجله لسانه في الليل والنهار ، ويحقق المطمع الكبير الذي يجول في خاطره ويعكر عليه صفو منامه .

عرف الحاكم الفرنسي ان منزل الشيخ مداح اصبح مأوى وملاذا للثوار ، فارسل في طلبه وهدد بالقاء القبض عليه وخلعه من منصبه، وتقديمه للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ، والتجسس لصالح الثوار.

ولكنه بعد ان تهدد وتوعد وضرب المنضدة بقبضة يده عدة مرات ، غير فجاة لهجته وقال للشيخ مداح :انك رجل طيب يا شيخ مداح .. عملك دائما متقن ونظيف ، ولم تصدر اية شكاية ضدك من السكان لحد الان . لا شك ان الثوار هددوك بالقتل اذا لم تخضع لرغبتهم ، ولم تفتح باب منزلك في وجوههم كما الفوا ان يفعلوا مع كل من لا يخضع لارادتهم .. انت تعرف يا شيخ ان فرنسا

كريمة عطوف مع موظفيها النشيطين وهي ذات قلب كبير لانها تسامح من يعمل ضدها تحت عوامل التهديد والارهاب .. ستبقى في منصبك ، بل ساطلب ترقيتك وازيدك ثروة وعلو مركز رغم ما صدر منك ،وذلك اذا اقمت بما اطلبه منك خير قيام .. العمل الذي ستقوم به بسيط جدا ولا يحتاج لاي جهد . سأعطيك نوعا من السم لا طعم له البتة ، تضعه في طعام الثوار الذين يأتون لمنزلك ليلتهموا طعامك ويزعجوا صحوك ورقادك .. الامر سهل جدا كما ترى انهم كلهم يأكلون من طبق كبير وانت تقوم على خدمتهم كعادتك دائما مع ضيوفك .. ما عليك الا ان تذر قليلا من هذا المسحوق على الطعام وبذلك نقضي عليهم بدون بارود ولا نار ، وسترى كيف ستكون مكافاتك اذ ذاك .

يحضرون لعندك بالعشرين والثلاثين نفرا ، فيا لهم من اناس همجيين لا يدركون ما يسببونه لك من تكدير وازعاج ، وفرك يديه قائلا : انها لفكرة رائعة اليس كذلك يا شيخ مداح ؟

ولم ينبس الشيخ مداح خلال هذا الحديث الطويل ولا بكلمة واحدة اذ لم يجد ما يقوله لدحض التهمة المنصبة عليه وجميع البراهين تؤيدها ، فلاذ بالصمت وتظاهر بالتفكير ، وحين مد له الحاكم بعلبة المسحوق ، اخذها بطريقة آلية ووضعها في جيبه ومد له الحاكم يده مصافحا وهو يقول : انني اتكل عليك للقيام بالمهمة على احسن وجه .. سأكلف شرطيا سريا لمراقبة جميع الحوادث وبالاخص التصرفات التي ستصدر منك ..

ولفظ العبارة الاخيرة بلهجة جافة باردة ، خيل للشيخ مداح ان فحيح الافاعي اخف وقعا منها .

انه اذا قام بالمهمة كما يجب ، فسيعلو مركزه ويرتفع شأنه ، ولن يفطن احد لما حاق بالثائرين في منزله . في امكانه ان يقول ان هناك يدا خفية هي التي وضعت السم في الطعام المعد للثوار بعد ان انتبه المستعمرون لزياراتهم المتكررة لداره ولن يشك فيه احد . واذا ابى فهناك الجواسيس الذين سيضعهم الحاكم لمراقبته ، وسيعرفون كل حركة من حركاته وكل تصرف من تصرفاته .

اخبر زوجته وابنة عمه بجلية الامر ، فنصحته بان ينذر الثوار في الحال ، وان يتحمل عاقبة افشاء السر ، فليس في المستطاع ان يضع السم بيده لاخوانه المجاهدين مهما كانت الاحوال . وبقي الشيخ مداح حائرا متعذبا لا يستقر على حال .

وفي اليوم الثاني اقتحم منزله خمسة عشر ثائرا للعشاء ، ولم يدر اية قوة شيطانية دفعته لذر بعض المسحوق على الطعام ، انه لم يخش المستعمرين حين قبل المجاهدين في داره وقدم لهم مساعدته ، فكيف يدب الخوف في قلبه الان بعد ان علم الحكام بشأنه ؟ لقد تأكد انه اذا لم ينفذ الاوامر فسيحكم عليه بالاعدام وستتعرض زوجته وولداه الصغيران للمذلة والهوان . انه لم يفكر كثيرا حين ذر ذلك المسحوق ، كان يدرك فقط انه اذا لم يفعل ذلك فسيعرض بعائلته كلها للهلاك : واخذ ينظر لطبق الكسكسي المزين بقطع اللحم والزبدة الطرية ، والخضر المنوعة بعينين باهتتين ، وحاول ان لا يفكر قط في الامر ، لا مناص له من قبول ما حكم به المستعمرون والا فستذهب حياته ضحية رخيصة وسيتشتت شمل عائلته ويكون مصيرها الخراب والدمار .

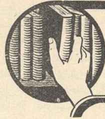
مد المجاهد الاول يده وهو يتمتم بسم الله الرحمن الرحيم وتهيأ الجميع للاقتداء به ، واذ بزوجة صاحب المنزل تقف امام الباب وهي عارية الوجه تصيح : لا ، لا لا تأكلوا ولمحت فوهة مسدس مصوبة اليها من النافذة ، فشحب وجهها شحوبا شديدا ، وجمدت الكلمات في حلقها ، ولكنها حين رات المجاهدين يكادون يضعون اللقمة الاولى في افواههم وهم ينظرون اليها بتعجب واستغراب ، صاحت بصوت اجش : لا تأكلوا من هذا الطعام ، انه مسموم انه مسموم ، لقد سممه لكم الاعداء .

انسحبت الايدي والتفتت الرؤوس نحو الصائحة الشاحبة الوجه ، وظهرت على جميع الاوجه علامات الدهشة ، وفي نفس اللحظة امتدت يد من النافذة المقابلة وسمع صوت رصاص يدوي في الفضاء ، فسقطت الزوجة على ركبتيها ، ثم انكفأت على وجهها ، فاسرع الحاضرون لنجدتها وخرج البعض للبحث عن الجاني فتحت الجريحة فمها ، ونظرت لزوجها نظرة طويلة ، واشارت بيدها الى المجاهدين وتمتمت :

حياة هؤلاء اغلى من حياتي وحياتك فاعتبر بهذا يا سي مداح ، ولفظت النفس الاخير .

**تونس** **ناجية ثامر**

# مكتبة الاديب



## احاسيس وانطباعات

تأليف اميل شوقي – تقديم الدكتورة سهير القلماوي – ١٧٦ صفحة – منشورات مكتبة الهلال بالقاهرة – مطبعة ؟

أعرف الاستاذ اميل شوقي منذ بضعة عشر عاما ، شغله الشاغل مشكلات مجتمعه ووكده ان يزجي آراءه الى المسؤولين نشدانا للصلاح والاصلاح والخير والفلاح . وهو لا يفتأ يطالعنا بكتاب في اثر كتاب يسجل في كل منها خواطره المصرحات الصريحات في نواحي العمران الانساني واسباب العرفان ووسائل انتشاره . ولئن صح لنا ان نطلق على اميل شوقي اسما من الاسماء فصل على قده وانطبق على حقيقته ، فليس ثمة ما يناسبه الا اسم «النقادة الاجتماعي» الذي يرى المعايب فيشير اليها بكل اباهمه ، ويلمس الامراض فيلتمس لها تطبيبا ، وينظر الى المستقبل نظرة المتفائل المتوثب ، والساعي الى بلوغ عالم مثالي من نسج افكاره ومن تصميم خياله .

بيد ان اميل شوقي قليل الثقة في نفسه كثير الاعتماد على غيره ، ولعل سبب ذلك خشيته من ان يجاهر الناس برأي يصدم اخيلتهم ويسبق مدركاتهم . وهو لذلك يفرط في الاقتباس والاستشهاد، ويسوق آراء غيره قبل ان يحتفل بآرائه هو ، ويزحم كتبه بالبيانات المثقلات يستقيها من مصادرها وينسبها الى اصحابها ، حتى اذا اطمأن الى انه مستند الى ركيزة متينة انطلق منها يرسل آراءه ذات اليمين وذات اليسار في جلجلة وصخب وتكرار يتلوه تكرار .

والكتاب الجديد لاميل شوقي يحشد طائفة من الموضوعات في جمهرة من القضايا ، ولكنه يعالجها علاجا صحفيا سريعا معتمدا من ناحية على ان القارىء مترفق به ، مطمئن من ناحية اخرى الى عقيدة راسخة فيه هي انه انتهى من بحوثه الى ايمان بافكاره لا تزعزعه النوائب ، ولعله كذلك يرى ان المسائل التي يعالجها وينتهي منها الى ما يمليه عليه رأيه، هي من البديهيات الآمرات، فلا تقبل نقاشا ولا تحتمل جدلا .

ويهمنا بوجه خاص من هذا الكتاب فصوله التي تتناول شؤون الثقافة، فهي اقرب الى ميولنا وادعى الى اهتمامنا من غيرها من ابواب الكتاب.

فللاستاذ اميل شوقي مشروع ثقافي خطط له، يبغي منه جعل الكتاب في متناول اليد الشعبية على صعيد عربي، وتشجيع ذوي الحس المرهف والملكة الكامنة من الادباء الناشئين على ابراز مواهبهم وتجلية ما استتر من بواعث الهامهم . واول ما يلحظ على هذا المشروع روح التفاؤل المطلق التي تسيطر عليه وتغلفه ، ففي اعتقاد الكاتب ان عشرة الاف نسخة من اي كتاب يمكن بيعها بيسر في السوق العربية . وهذا تقدير لا نعرف له ظلا من الواقع في دنيانا الفكرية ، لان اروج الكتب لاكبر الكتاب تتواضع في توزيعها فلا تتجاوز آلافا ثلاثا في طبعتها الاولى ، ولا تنفد الا بعد عشر سنوات في القليل ، هذا اذا احسن عرض الكتاب والدعاية عنه .

ثم ان الاستاذ اميل شوقي يريد للادباء الناشئين ان يخرجوا الى الجو الادبي بشهادة من الهيئات الرسمية موقعا عليها من اللجان الرقابية التي يقترحها ، وهذا مخالف لناموس الحياة الادبية في منطلق دنياه . فلا نجيب محفوظ مر على امثال هذه اللجان ، ولا عرج عليها علي احمد باكثير او احمد امين او طه حسين او غيرهم . فكل هؤلاء عولوا على انفسهم في المقام الاول ، وفرضوا عبقريتهم على الناس ، فطال انتظار بعضهم حتى نال التقدير العام، ووافى التقدير غيرهم في فترة غير طويلة .

وفي ظننا ان هذه اللجان لا تخلق اديبا ولا تنشىء موهبة . وخير للادباء وللادب نفسه ان يسلك الاديب الطريق المألوف، وهو طريق المحاولة والاجتهاد ومعاودة المحاولة مع اتصال الاجتهاد حتى ينجح في اقناع الجو الادبي بالمواهب التي تكاملت له والجديد الذي أتى به .

فمن شأن الادب ان ينمو نموا طبيعيا حرا ، وليس من شأنه ان ينمو في محاضن ويخضع لاشراف دقيق . ولو اشترطت مثل هذه اللجان الرقابية في الحياة الادبية عامة، لما كان هناك ادب مهجري ولا كانت هناك مواهب بين الطالعين من الادباء في بلاد العرب اجمعين . ولسنا نرى بأسا من اجراء المسابقات ومنح المكافآت للفائزين فيها من الادباء ، ولكننا نرى اشد البأس في ان يكون للادب باب ضيق يقف عليه زيد وعبيد من الناس، فلا يخرج الى النور اديب الا بعبور هذا الباب بعد نيل رضا هذا الزيد وذلك العبيد .

ولسنا نفهم شيئا مما يقال عن انشاء بنوك للثقافة او بنوك للادب ، فهذا تعقيد لا يستقيم مع طبيعة الحياة الادبية ولا مع طبائع المشتغلين بالادب . ودع عنك ان هذه البنوك تحتاج الى موظفين تتدرج رتبهم من المديرين الى الكتبة ثم السعاة ، وهؤلاء واولئك يستنزفون بمرتباتهم اموال البنك دون ان يفيد منها الادب او الادباء ، بل لعلهم باجراءاتهم ومعاملاتهم في الاوراق والاستمارات والطلبات يحولون الحياة الادبية الى سوق ليس بينها وبين عكاظ شبه .

والذي نراه من طول مراقبة للحياة الثقافية ان الكتاب الجيد يخترق الاسوار جميعا ويتخطى العقبات جميعا ويؤدي رسالته بغير « بركة » اللجان وتزكيات كتاب المقدمات . كما ان الاديب الاصيل لن يعدم وسيلة لتأثيل منزلته في الجماعة الادبية ولو كره الكارهون . لان الاديب الحق الواثق من نفسه المعتز بادبه المتمكن من اداته لا يمكن ان توصد في وجهه الابواب . وهي ان اوصدت مرة ، فلن توصد الى اخر العمر ، وكل الادباء بلا استثناء طرقوا ابواب الناشرين في مطالع حياتهم فخرجوا من الغمر الى مستهدف الاضواء ووقفوا بقاماتهم المنصوبة واقدامهم الثابتة امام الانواء من كل اتجاه . فالشاعرية المتدفقة تكفر ببركات اللجان وتزكيات الموظفين وقروض البنوك الادبية والثقافية المقترحة . وهي قادرة على ان تأتمر بأمر نفسها وتغتصب الاعجاب اغتصابا . وهذا صحيح كذلك بالنسبة للروائيين والنقاد والباحثين الجادين الذين تشهد لهم اعمالهم بما كمن من مواهبهم وصح من ملكاتهم وعز من معطياتهم . « فيفتح الله » في هذه البنوك واللجان واشباهها ، لان الاديب لا يقال له كن فيكون ولا يعطى رخصة كرخصة قائد السيارة بعد امتحان لا يخلو من جبر خاطر واعانة كليل واغاثة بائس

واذا تركنا هذا الموضوع الثقافي جانبا ، ونظرنا في سائر فصول كتاب « احاسيس وانطباعات » نظرة عامة الفيناه مشرقا ومغربا في آن، يتحدث

عن البلهارسيا والتليفزيون، وعن رحلات غزو الفضاء واستنبات الارض وازالة الدساكر والكفور (اي القرى) ، وعن التعليم والسيد البدوي ورعاية الاحداث ... الخ . فهو كتاب قوامه شذرات متناثرات متنافرات يعسر على القاريء ان يلتمس بينها جامعة الا ان تكون جامعة العرض الصحفي غير المتاني .

ولئن كانت هناك نصيحة غالية تشير الاخوة الادبية بازجائها الى اميل شوقي، فهي ان «يلقي الشباك في الاعماق» ولا يقنع بالقائها عند الشاطيء الضحضاح، وان يتوجه بكل جهده الى الدرس المفصل والبحث المعمق والمنهاج المؤصل بدلا من العرض الخاطف للقضايا التي تشغل ذهنه، وبذلك تستقيم لخواطره اركان العلم، وتصبح الرصانة المنهجية من فضائل مؤلفاته ومصنفاته .

ولا ريب في ان اميل شوقي يكافح في ميدان الادب والفكر برأيه المسطور وقلمه المسنون وسعيه الحثيث ، ولكن الكفاح في سبيل الغايات البعيدات انبل منه في سبيل الاهداف القريبات . ولهذا ندعوه بالحاح ان يطلق لخواطره العنان، ويرسلها ارسالا غير مقيد بقيود الكتابة الصحفية العجلى، وان يتوافر على موضوع بعينه يستوفيه عناية ويوفيه تمحيصا ويؤكد به ذاته الادبية تاكيدا يقطع على المتقولين طرقهم ويفتح امامه الابواب التي ما زالت مثقلة بالارتاج . فالتاليف غير التحرير ، والبحث غير الخاطرة، والادب غير الصحافة، وعمق الشعور غير الاحاسيس . فعليك بالعظائم من الامور والجلائل من الاعمال ، فقد تجاوزت دور الخواطر، وشببت عن طوق الانطباعات، وثق بان الرأي الخمر خير من الفطر ، وان الارض السميكة التربة خير من الارض الرقيقة الطبقات .

وحسبنا من احاسيسك وانطباعاتك اخلاصك في القصد، وتصويبك الى الهدف ومحاولتك النهوض بالجماعة، وهيامك بمحبة الاوطان .

القاهرة — وديع فلسطين

●

## ملحمة الجلاء

لعامر محمد بحيري ـ ؟ صفحة ـ ؟ مطبعة

أصدر عامر محمد بحيري ملحمته الثالثة « الجلاء » وبذلك وضع نفسه في مكان واضح من مجال تجديد الشعر العربي المعاصر وقد كان طبيعيا ان يتجه الشعر العربي المعاصر الى « الملحمة » ، بعد أن كتب شوقي وحافظ ومطران قصائد مطولة . وفي مقدمة من تناولوا هذا اللون احمد محرم حين نظم ملحمة « الالياذة الاسلامية » التي ظلت سنوات طويلة لم تنشر حتى اتيح لها ذلك في هذا العام .

وكان عامر محمد بحيري في مقدمة من حمل هذا اللواء ومضى به طويلا ، حتى نظم ملحمته الشعرية « امير الانبياء » في ١٢٠٠ بيتا ، ثم اتبعها بمحلمة « ايزيس واوزيريس » فملحمة « الجلاء » . ويظهر عمل عامر محمد بحيري في ميدانين كبيرين : فن الملاحم وتجديد العروض .

وقد كان عمله هذا في خلال ثلاثين عاما خليقا بان تلقى اليه نظرة فاحصة ، فعامر بحيري منذ عام ١٩٣٢ بدأ يعمل على تجديد الشعر ، حتم عليه هذا الاتجاه دراسته للشعر الانجليزي وفي مقدمته شعر شكسبير، ومقارنته بمسرحيات شوقي التي ظهرت في هذه الفترة وشغلته كثيرا ، حتى انه بدأ ينسج على منوالها في محاولات ( بادئة ) .

وقد هيىء له ظهور مجلة «ابولو» في ذلك التاريخ ، فرصة لنشر منظوماته ونقوده ، ولم يلبث ان اصدر عام ١٩٣٦ مجموعة شعره الاولى « اليخت الذهبي » تحمل طابع التجديد الذي اخذ نفسه به .

كان اتجاهه في التجديد .. ينصب على مضمون الشعر في وقت واحد ، وكان تجديد القالب يتمثل في ادخال اوضاع شعرية جديدة ، اظهرها الاصماء الرباعية والثمانية والتساعية التي اخذها من بعض الشعراء ، وبخاصة تساعية « ادموند سبنسر » وثمانية « بيرون » .

ثم جرت محاولته فيما بعد لادخال نظام (السونته) وهو يتكون من ١٤ شطرا ادبيا وسماه « الصدحات » لما لمسه من قرب الجرس الصوتي بين الكلمتين العربية والافرنجية ، ولما تؤديه كل منهما من معنى اللحن والغناء .

وشغل عامر بحيري في اهم ما شغل به من فكرة تجديد الشعر ، بتجديد العروض ، فقد لاحظ ان بحور الشعر العربي تنقسم الى قسمين: بسيطة ومركبة، بينما بحور الشعر الاوربي مثلا كلها بسيطة : ومعنى البحور البسيطة ان البيت يتكون من تفعيلة واحدة متكررة نحو : مستفعلن، مستفعلن، مستفعلن، .. (في الرجز) و : متفاعلن، متفاعلن، متفاعلن (في الكامل) و : فعولن، فعولن، فعولن (في المتدارك) .

وفي البحور المركبة، ان البيت يتكون من تفعيلتين مختلفتين، تتكرران واحدة تلو الاخرى : نحو فعولن، مفاعيلن، فعولن، مفاعيلن (في الطويل) ومستفعلن، فاعلن، مستفعلن، فعلن (في البسيط) وفاعلاتن، مستفعلن، فاعلاتن ، (في الخفيف) .

يقول : ولما كنت قد تبينت تمام التبين، ان الشطر في الشعر انما هو البيت نفسه، وان البيت المعروف في قصائدنا العربية والمكون من شطرين ما هو الا نوع من الشعر المزدوج وذلك يظهر بوضوح اكثر من البيت الاوربي الذي يسمونه سطرا اي بيتا، كما يظهر بوضوح ايضا عند ترجمة الشعر الاوروبي ، الى شعر عربي ـ وهو ما عالجته ـ فيقع المعنى الوارد في البيت الاوربي حينئذ ، في شطر واحد من الشعر العربي، لذلك رأيت ان اول واجب نحو تجديد العروض العربي، وجعل الشعر العربي يستوعب الموضوعات الكبيرة كالملاحم والمسرحيات، انما هو في الرجوع الى هذه الحقيقة، وهي رد بيت الشعر العربي الى شطر واحد بدلا من شطرين، لا داعي لهما خصوصا مع التزام القافية في الشطر الثاني على طول القصيدة، مما كان مثار الشكوى من جمود الشعر العربي، من حيث المعاني والموضوعات، على ايدي ضعاف الشعراء ، وادعياء الشعر على مر العصور .

غير ان جعل البيت شطرا واحدا في العربية لا يكفي لانه لا يزيد عادة على ثلاث تفعيلات بينما هو في الشعر الاوربي خمس او ست، لذلك رأيت ان انسب وضع للبيت العربي الجديد هو ان يتكون من خمس تفعيلات في البحور البسيطة .

على ان ما حاولته فعلا هو النظم في خماسيات البحور البسيطة، وان كان النظم في سداسيات البحور المركبة ممكنا ، الا ان الاول ايسر منه ، وانسب لموضوع القصة او الملحمة .

ويبدي عامر بحيري رأيه في محاولات التجديد في الشعر العربي وبخاصة من حيث العروض التي ظهرت في الفترة الاخيرة (عام ١٩٥٠ وما بعد . ) فيقول :

ان كان المقصود بها تطوير الشعر العربي فعلا ، والخروج به من حيز الجمود الى حيز المرونة والانطلاق والاستيعاب ، وان كانت تتفق كذلك مع بعض القواعد، الا انها في اكثرها بحاجة الى تصحيح وتقويم، ومن مآخذي على هذه الحركة تحطيم التفعيلة الواحدة واختيار البحور الضعيفة، وعدم التقيد بالقافية او اهمالها، مع ضعف الاسلوب غالبا ، مما يجعل هذا النوع، حتى الان اشبه بالترجمة النثرية لشعر اوربي ، منه بنظم شعري مبتكر، ولو روعيت فيه بعض الضروريات من تكامل التفعيلة، واستقامة البيت والاعتماد على قوة القافية، مع العناية بالاسلوب الذي هو روح العربية وريحانها، لكان منه شيء قريب مما ذكرته الان . وبنية على دراسة مستأنية واعية، امينة على تراث العربية المجيدة، وثروتها اللغوية والموسيقية الخالدة !

هذا بالنسبة لتجديد العروض عند عامر بحيري، اما بالنسبة لدوره في الملاحم والمسرحيات فقد ذكر انه تأثر بمسرحيات شوقي وشغل بها الى حد كبير، كما راح منذ مطالع حياته يترجم من مسرحيات شكسبير فترجم من العاصفة وماكبث وانطونيو وكليوباترا وغيرها ..

كما قام بمحاولات خاصة منها (( ماري انطوانيت )) ، ((الجيل الجديد))، ((رسالة العدل)) ، ((خالد بن الوليد)) ، ((الامين والمامون)) .. وله محاولة لم تتم عن قناة السويس .

اما الملاحم فمنده انها هي الميدان الذي لم يجد في حلبته من شعراء العربية فارسا ، رغم ما هو موجود فعلا في ادبنا القديم من قصص شعري ومن ملاحم اغلبها نثري ، يتضمن في اثنائه ابياتا من الشعر تمثل حوارا بين الشخصيات .

وقد دفعته دراسات للقصص الشعرية في الادب الانجليزي الى تجربة مثل هذه المحاولة، على نحو يختلف عما فعله شوقي الذي يرى عامر بحيري انه اكتفى بنظم التاريخ (كما فعل في تاريخ العرب والاسلام) اما هو فكان يتجه الى القصة الفنية الخالصة ، واستطاع في خلال السنوات المتوالية منذ عام ١٩٣٦ الى كتابة الساحرة ، يوسف الصديق، الحمامة البيضاء، ايزيس واوزوريس، امير الانبياء يقول ((ان هناك فرقا كبيرا بين نظم التاريخ، ونظم القصة المستكملة لقواعد الفن القصصي وشرائطه ، وبالرغم من ان بعض محاولاتي، ربما يعد من نظم التاريخ، مثل ملحمة (( امير الانبياء )) التي كان جلال موضوعها وشخصية البطل فيها، مما يدعوني الى الاقتراب ما امكن الى حوادث التاريخ، بل الى تحري الصحيح منها دون الموضوع، الا انني في محاولات نظم الملحمة بصفة خاصة، كنت اهدف الى نظم القصة الشعرية الفنية، ما امكن ذلك . ))

ثم كانت المرحلة الطبيعية بعد ذلك في تطوير عمل عامر بحيري ان يتجه الى عمل كبير ضخم في تاريخ مصر كقصة الجلاء، فهي عنده قمة في المحاولات التي مر بها في تريث وصبر ، مدى سنوات طويلة ، وقد نظمها في بحر مبتكر، لا يبعد من اصول العروض العربي، ولا تكاد تختلف عن نظائرها في القصص العالمية الكبرى . وقد بدأت الملحمة منذ بدأت نذر الحرب العالمية الثانية، عندما تصدر شباب الجامعة الصفوف وتعرضوا لرصاص الانجليز، وتساقط منهم الشهداء، وكيف انطوت هذه الحركة، ولم يلبث الشباب ان جدد حركته، وكانت الدعوة لا تعتمد على الاحزاب، وانما تعتمد على منطق القوة، بدأت هذه الحركة في داخل الجيش، وبدأ الشباب المتحمس في داخل الجيش وخارجه يتصيدون جنود الانجليز، افرادا وجماعات، وبدأت تنتشر خلايا هذه الحركة التحريرية الكبرى التي انتهت بقيام الثورة ١٩٥٢ ثم كيف توالت احداثها في اعلان الجمهورية، وتحقيق الجلاء وتأميم القناة .

وهي مع اتصالها بالتاريخ القريب فقد نظمه على نحو فني متحرر من كل القيود والالتزامات، افرادها جميعا من خلق المؤلف، وليس فيهم شخصية واحدة لها نظير في الوجود الخارجي، اعطت صورة صادقة للمجتمع في مصر وصورت فعلا بعض افراده وابرزت جوانب من حياتهم ، كما صورت الحياة الجامعية في مصر، وبعض مشاكل المجتمع، وحياة الريف والمدينة .

ويدل هذا العمل في جملته على استمرار عامر بحيري في رسالته التي آمن بها ، والتي لم يتحول عنها على الرغم مما لقي من اغراء الا انه آثر الاخلاص لرسالة الشعر مدى الحياة ثم اخذ في تطوير هذه الرسالة حتى شملت القصة والملحمة والمسرحية، وقد لقي في سبيل هذا الاتجاه خصومة شديدة ، وتأخر بين الصفوف على حد قوله ، لولا ايمان بالله وبالرسالة التي وهب نفسه لها .

القاهرة انور الجندي

## وجهان للخطيئة ... وقصص اخرى

تاليف سعد حامد ـ ؟ صفحة ـ ؟ مطبعة

الفنان الشاب سعد حامد قاص موهوب ينتج ـ منذ سنين عديدة تربو على الخمسة عشر عاما ـ في صبر ودأب غير ناظر الى البريق الذي يخطف ابصار الشباب فيجعلهم يتجهون ذات اليمين وذات الشمال بحثا عن الشهرة من أي طريق ... فهو مخلص لفنه متواضع دمث عذب النفس قوى الملاحظة، نافذ البصر ثاقب البصيرة في خجل وحياء وطفولة عذبة، فهو على الرغم من قامته الفارعة، وشعره الناعم الاسود وعينيه الواسعتين النافذتين تحس طفولة خصبة ناضرة في وجهه، وهذا ما جعل نفسه ثرة غزيرة ووجدانه غضا ، لم تحد الايام نفسه، او تترك الاحداث ندوبا في قلبه، ولذلك تجده دائما في رضا وسعادة بحب الناس جميعا .. لا يشكو ولا يتبرم رغم تجاهل الناقدين لمجموعاته العديدة التي خرجت الى الوجود .

واخر مجموعة اصدرها منذ سنة ١٩٥٨ كانت (تيار الحياة) ولقد هزتني هزا عميقا وجعلتني اعيش مع ابطاله حيواتهم وكنت ثائرا لتجاهل النقاد هذا الاثر النفيس على كثرة ما يدقون الطبول ويحرقون البخور امام اعمال فجة لم تستكمل بعد نضجها ... وكان سعد ينظر الي في ابتسامة ويقول : (( يا عم خليها ع الله الهم ننتج )) وكان فعلا يثقف نفسه ويقرأ ويثابر ويكتب ... حتى اصبح راهبا في دير الاقصوصة وعندما اصدرت الدار مجموعة له ((وجهان للخطيئة)) فرح فرحا غامرا واضاء وجهه بنور عميق .. وعرفت سبب فرحه .. فهو يعتقد ان هذه السلسلة تنشر على نطاق واسع وتطبع اعدادا كثير ةلذلك فهو سعيد ان فنه سيصل الى هؤلاء الناس انه يؤمن بالناس ويحبهم ويتناول مشاكلهم في رحابة عميقة وانسانية مضيئة ...

وقلت له : ما فائدة هذا النشر ما دام النقاد عندنا لا يحفلون بهذه الاعمال الفنية الجادة . وقال لي والبسمة تعلو شفتيه ((يا عم سيبك)) المهم ان اقول كلمتي وامضي هذه الروح المخلصة الراضية وهذه الملامح النفسية والجسمية مع موهبة اصيلة واطلاع مثمر متواصل كونت ((سعد حامد)) الفنان وجعلته يتميز عن كثير من شبابنا الذين يكتبون القصة بميزات هامة .

فهو يعنى بفنه ويثقفه ويهذبه من كل شائبة ويجيد بناء الاقصوصة بناء محكما عضويا له بداية ووسط ونهاية ويتطور بالاحداث تطويرا حتميا بحيث تقضي البداية الى الوسط والوسط الى النهاية في نمو عضوي مقنع مترابط .

ولغته مشرقة عذبة موحية حتى لننسى انه يكتب بالالفاظ وانما يبني بناء عضويا رشيقا .

ولفتاته بارعة ذكية تغوص الى اعماق النفس البشرية دون ان تجرحها او تؤذيها .

وهو لا يفرض على نفسه هدفا ، بل يترك ذلك ينبع من داخل العمل الفني ولذلك لا تخلو قصصه من كثير من القيم الوطنية والاجتماعية .

وهو قادر على نفث الحرارة والحياة في الاشياء التافهة البسيطة فتخرج من بين يديه عملا فنيا بديعا يموج بالصور والالوان والظلال ... وهذا راجع الى رهافته الفنية وحدة تنبهه الفني . وفيه ميزة هامة بارزة في كل اعماله .. هي الانسانية .. الانسانية العميقة المضيئة .

وهذه بطبيعة الحال ليست دراسة موضوعية جادة وانما هي انطباعات تتسم بكثير من حبي للفنان سعد حامد ويؤثر عليها بعض التأثير موقف الناقدين من هذا الفنان المخلص المثابر . ولكنني اعتقد مخلصا ان ((سعد)) لو اتيحت لفنه دراسة موضوعية متأنية لانصفته ولجعلته يأخذ مكانه في الصفوف الاولى مع قصاصينا الموهوبين .

ومع ذلك فنحب أن نرى في هذه المجالة وجها من وجوه فن «سعد حامد» وهو الانسانية، وهي واضحة في كل قصصه تقريبا .. وفي القصة الاولى «وجهان للخطيئة» نرى هذه الانسانية، فالمرأة الخاطئة في نظره ضحية ظروف . ورغم انها عارضت في زواج بطله من ابنتها التي كان يحبها لا يشعر لها بالكره بل يحبها هي الاخرى ويجعلنا نتعاطف مع الاب والفتاة بل ونحب معه الام الخاطئة ، وقصة «فتاة في الحديقة» فيها هذه الانسانية فحميدة هذه الفتاة البريئة المسكينة التي وقعت في شراك شاب واخطأت ... يتيح لها ان تلتقي في الحديقة برجل مع ابنته وتبوح لـه بسرها وبدل ان يشمئز الرجل منها وينفر يدعوها الى ان تذهب معه الى البيت فقد ماتت زوجته ... ويتزوجها وتلخيص القصة بهذه الصورة يشوهها تشويها كبيرا لان الفنان بقدرته ورهافة مشاعره، وقدرته على الايحاء والرمز يجعلني احب هذه الخاطئة واحب الرجل الذي تزوجها واحب الفنان واحيي فيه انسانيته .

انه يصور موقف الرجل بعد أن سمع قصتها ويربط بينها وبين ابنته الصغيرة التي ماتت امها : « وربت عليها في حنان وقال : يا بنتي كل خطأ يمكن اصلاحه » « وفهم الرجل كل شيء واحس بشيء حاد يغوص في احشائه وشعر انه سيختنق وكأنه في دهليز معتم فاسد الهواء .. الا يحتمل انتمر ابنته هذه الصغيرة البريئة ذات يوم بمحنة كالمحنة التي تمر بها هذه الفتاة، فتسقط وتتحطم وتنتحر من اليأس » ثم يعطف عليها ويقول لها « يا ابنتي انا مررت بمحنة قاسية ماتت زوجتي من سبعة اعوام وتركت لي هذه الطفلة وعشت بعدها في وحدة مريرة لكنني تحملت وعشت من اجل هذه الطفلة » ثم يومىء الكاتب ايماءة معبرة ويرمز رمزا وثيقا لارتباط الرجل بهذه الفتاة ... فيقول: «وعندما قاما ليغادرا الحديقة كانت طفلته قد نامت فحملها على كتفه لكن الفتاة قالت لـه : دعني احملها حتى البيت .

« ـ وحملت الطفلة وسارت الى جانبه » وهنا يوحي لنا الكاتب بكل شيء فالقصة قد انتهت واحسسنا نحن بحب انساني عميق يهز مشاعرنا لهذا الرجل الذي انقذ هذه الفتاة ... وفي المجموعة كثير من هذه اللفتات الانسانية العميقة المتنوعة وحسبنا هذه الاشارات العابرة لتكون تحية للفنان الصديق سعد حامد ...

**القاهرة** **عبد العزيز الدسوقي**

●

## قصـة القرحـة

تاليف الدكتور منذر الدقاق ـ ؟ صفحة ـ المطبعة الهاشمية بدمشق

الدكتور منذر الدقاق من دمشق عضو المجتمع الامريكي لامراض جهاز الهضم وعضو الجمعية الوطنية الافرنسية لامراض جهاز الهضم وعضو الجمعية اللبنانية لامراض جهاز الهضم ونائب رئيس الجمعية العربية في دمشق ، وهو يعمل الان كرئيس لشعبة الامراض الباطنة في مستشفى دمشق، وقد حاز مؤخرا على جائزة العلوم الطبية من المجلس الاعلى للعلوم في سوريا .

ويختص الدكتور دقاق بنشاط علمي طبي تدل عليه الدراسات الطبية العديدة التي يقدمها في المجلات الطبية العلمية العربية والاوروبية والاميريكية بالاضافة الى ابحاث اجتماعية عديدة نقرأها لـه في كثير من مجلاتنا العربية وقد طالع القراء في (الاديب) عدة ابحاث له .

وكان اخر ما قدمه الدكتور دقاق كتاب «قصة القرحة» الذي هو اول كتاب طبي يؤلفه طبيب عربي ويحاول فيه انيبرز الناحية الاجتماعية التي هي اساسية في تكون المرض .

بين الكتب الهامة التي صدرت عام ١٩٦٣، كتاب (قصة القرحة) تأليف الدكتور منذر الدقاق . والكتاب دراسة علمية طبية اجتماعية لمرض القرحة المعدية الاثني عشرية في جهاز الهضم ويختص بصفة اجتماعية خاصة تجعله في مقدمة الكتب الاجتماعية التي تعالج الانعكاس الطبي لبعض مشاكل المجتمع وامراضه .

ولعل اهم ما يجدر التاكيد عليه في كتاب (قصة القرحة) هو التحليل الاجتماعي الذي نقرأه لهذا المرض الهضمي الهام، وكيف يتضح لنا ان القرحة الهضمية هي مرض يقدمه المجتمع لافراده، وهو ما يجعل كتاب الدكتور دقاق درسا اساسيا في علم الطب الاجتماعي .

والذي نستنبطه من قراءة الفصول العديدة للكتاب ان هذا المرض الهضمي هو نتيجة انعكاس مشاكل المجتمع في جسم الانسان وتوضعها في نقطة معدية او اثني عشرية سميت قرحة هضمية . وهذه العلة الشائعة موجودة منذ قديم الزمان بدليل ان ارتكاسات المجتمع ومشاكله الداخلية من آلام نفسية ذاتية واضطرابات عصبية جسدية لم تتبدل ولم تتغير منذ اقدم العصور ... غير ان المعرفة في هذا المرض قد تطورت كثيرا بالوسائل الطبية الحديثة واصبح من السهل كشفها وتشخيصها ومعالجتها بالشكل المفيد .

واذا ما تصفحنا بعض ابواب هذا الكتاب ، ذي الطبع الانيق الملون ، وجدنا فيه الكثير من الفصول التي تتطرق الى اسباب القرحة الاجتماعية والى ان القرحة مرض المجتمع ... ثم نطالع الكثير من القصص الاجتماعية البائسة التي اثارت القرحة الهضمية لدى اصحابها فندرك بجلاء ما اكد عليه المؤلف بأن هذه الشكوى الهضمية تعود في اصلها الى اضطراب في تجاوب الانسان ازاء مشاكل المجتمع الذي يحتضنه ، والقدر الذي فرض عليه والهموم التي تحيط بـه .

ولذلك كان من الضروري جدا على كل طبيب معالج، معرفة القصة الاجتماعية البعيدة التي كانت وراء انطلاق القرحة، اذ ان معرفة هذه القصة وسردها من صاحبها المريض، يخفف كثيرا من عناء ضغطها الداخلي ويفرض بعض الانطلاق العصبي للكبت النفسي الصامت الذي هو أشد ما يسبب نوبات القرحة وآلامها . فتاكيد الطبيب على معرفة القصة الاجتماعية التي ولدت وكونت القرحة ضرورة علمية اساسية في توجيه الشفاء .

ونقرأ في فصل (القرحة . مرض المجتمع) قصصا اجتماعية حزينة بائسة تدلنا على مدى دور المجتمع في بعث القرحة ... ولا بد لنا ان نردد على سبيل المثال القصة الحزينة للشيخ العجوز الذي جاوز السبعين من العمر وقد قص للمؤلف مراحل القرحة التي اصيب بها منذ خمسة عشر عاما، وكيف انه قد فقد اولاده الذكور وهم عشر في سن يتراوح بين الثالثة والثامنة عشر ... وكان الابن يعيش بضع سنوات ليموت ... ويشرح سبب الموت بانهقدر من الله ... ثم كان ان بقي لـه ولد واحد بلغ سن الثامنة عشرة ، ثم قضى الشاب الوحيد في حادثة سيارة، وعندها لم يتحمل الاب المفجوع، ذو الجهاز العصبي المضطرب على مدى السنين ، هول الفاجعة بعد ان فقد ابناءه التسعة ، فظهرت القرحة لديه ....

وكان من مظاهر البؤس الابدي لهذا العجوز ان بقي لـه بنت واحدة زوجها لصانع يعمل في النول (نسيج) واشترط على صهره الجديد ان يقطن معه في البيت لانه لا يطيق ان يرى ابنته الوحيدة تغادر داره البائسة لتقطن مع عريسها بعد ان فجع باولاده العشر ، وقبل ان يقاسم الصهر داره وان يشترك معه في اللقمة لدى ان ابنته لم تغادره بعد ...

ان هذا المريض الفقير العجوز المفجوع الذي جاء الى المستشفى ، يشكو من قرحة مزمنة لديه بعد هذه النكبات المتتالية ليثبت بشكل

قاطع خطأ النظرية الغربية القديمة التي كانت تقول أن القرحة مرض الحضارة ... فالقرحة ليست بمرض الحضارة انما بمرض الصدمات العصبية والنفسية والاجتماعية .

واذ يتحدث المؤلف بدقة وتفصيل عن القرحة واعراضها واسبابهـــا واختلاطاتها واشكال معالجتها ، نراه يخصص فصلا كاملا عن مسؤولية الطبيب الكبيرة من الوجهة الطبية والاجتماعية فـــي اقامة تشخيص القرحة، ويدعو الى التروي والتأكيد قبل اطلاق هذا التشخيص الــذي يوجب على المريض المصاب قبول بعض الترتيبات الخاصة في حياتــه الاجتماعية . ولذلك فقد ابرز الدكتور الدقاق في مؤلفه أهمية المعالجة الاجتماعية للقرحة وهي معالجة ذات شقين ... شق طبي وشق جراحي ... اما المعالجة الاجتماعية الطبية فهي تقتضي ان يكيف المريض اوضاعه الصحية والاجتماعية وفق اصابته المرضية وهي تقتضي ايضا بان يغير المريض الكثير من طبائعه وعاداته ... اما المعالجة الاجتماعية الجراحية .. فهي التي تدفع بالطبيب ان يوصي بالمداخلة الجراحية اذا كانت حالة المريض الاجتماعية لا تسمح بتحمل نفقات المعالجة الطبية واذا كانت مهنته تتأثر من توارد نوبات القرحة بفواصل متقاربة فتعطله عـن العمل .

واذا كان المؤلف قد عمل كثيرا على ابراز اهمية الناحية الاجتماعية في الاصابة القرحية فلئن المجتمع مسؤول عن انطلاق القرحة وعــن نكسها ثانية اذا ما شفيت ....

ولا ادل على ذلك من قصة البقال الدمشقي الذي عاش شريدا فـــي طفولته وقد طلقت امه ثم نبذه والده في منتصف الليل طالبا منه ان يترك الدار ويؤمن حياته بنفسه ... وعاش الطفل المسكين بائعا متجولا يمضي اقسى الظروف الاجتماعية ... ثم يطيب له ان يتزوج .. فيقع على فتاة تعيش معه لتسرقه وتنقل ماله الى اهلها ويرزق منهـــا اولادا ويطلقها ... ويتزوج سواها ... ويعيش في قلق دائم بين اطفاله الاول وقد قست عليهم الزوجة الجديدة وبين حياته الزوجية الثانية المرتبكة.

من خلال هذه الحياة العائلية المرتبكة يراجع الطبيب شاكيا من قرحة اثنــي عشرية .

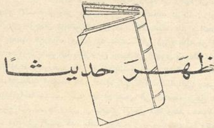
ولا يقف دور المجتمع عند انطلاق القرحة بل يتعداه بنفس النسبــة الى حالات نكس القرحة ... واوضح دليل على ذلك قصة السيدة التي عولجت عام ١٩٥٥ لقرحة وشفيت ... ثم عادت عام ١٩٥٨ تشكو ثانية من نكس حاد، وذهبت بعيدا في شكواها فاوضحت انها كانت تعيش في صداع مستمر تحت سقف واحد مع حماتها ... وان مصادمة عنيفــة جدا اوجبت الانفصال عنها، وعادت القرحة ولكن نزيفا قد رافقها فـــي هذه المرة، ولم تنفع فيه المداواة لايقافه وكان استئصال القسم الاكبـر من المعدة من خلال المداخلة الجراحية السبيل الوحيد للشفــاء الطبي كمــا كان الانفصال عن حماتها السبيل الوحيد للشفاء الاجتماعي .

ونقرأ في الكتاب شروطا طبية واجتماعية تضمن شفاء نوبة القرحــة ومن اهم العناصر الاجتماعية لهذا الشفاء نظام مهني وفكري يخلو مـن الاجهاد العقلي والجسماني وراحة فكرية من خلال عطل سنوية منتظمة والابتعاد عن التعقيدات العاطفية والتلاؤم مع ضرورات الحياة في حدود الاعتــدال .

ان هذا الاطار الاجتماعي الذي نقرأه بشكل مفصل يحلل لنــا الوجه الحقيقي والاساسي لمرض القرحة الهضمية ، ولما كان مثل هذا التحليل يقدم لنــا اوسع صورة عن واقع هذه العلة الهضمية فان ظهوره بلغة اجنبية، الانكليزية او الافرنسية، بالاضافة الى اللغة العربية امر ضروري لبيان مدى تقدم المعرفة الطبية في شرقنا العربي .

دمشق

**مختار طرشه**




- شعراء حمص : اخبارهم وآثارهم ـ تاليف احمد الدرويش ـ الجزء الاول ـ ١٣٦ صفحة ـ مطبعة النجاح بحمص سورية .
- الحصول على الاعضاء والاحتفاظ بهم ـ تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية ـ ترجمة الدكتور سعيد محمد غنيم ـ مراجعة وتقديم الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ـ ٨٤ صفحة ـ منشورات دار القلــم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .
- سويسرا : شعبها وارضها ـ تاليف ليليان براجدون ـ ترجمة كمال الملاخ ـ تقديم الدكتور عبد العزيز فريد ـ مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي ـ ١٥٨ صفحة ـ مع صور ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .
- قصة الكهرباء ـ تاليف ماي وايرا فريمان ـ ترجمة الدكتور محمد احمد فهر ـ مراجعــة وتقديــم الدكتور انور محمود عبد الواحـــد ـ مصمم الغلاف امين لبيب رزق ـ ٨٤ صفحة ـ مصور ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة)
- معرض القبة السماوية « البلانيتيريم » ـ تاليف لويس وولف ـ ترجمة الدكتور عثمان لبيب فراج ـ مراجعة احمد زكي محمد ـ ٥٢ صفحة ـ مصور ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ ( لم يذكر اسم المطبعة )
- الاقتصاد الافريقي ـ تاليف الدكتور محمد رياض والدكتورة كوثر عبد الرسول ـ ٥٣٩ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار النهضــة العربية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة .
- سوزان ـ مجموعة شعرية ـ حسن عبد الله القرشي ـ ٩٦ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت .
- التخلف المدرسي ـ تاليف اندريه لوغال ـ ترجمة يمن الاعسر الامام ـ ٢٠٨ صفحات ـ منشورات عويدات بيروت ـ مطبعة سميا بيروت .
- سلمبو ـ تاليف غوستاف فلوبير ـ ترجمة سامي الرياشي ـ طبعة ثانية منقحة ـ ٣٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات بيروت ـ مطبعة سميا بيروت .
- تاريخ الحضارات العام ـ باشراف موريس كروزيه مفتش المعـارف العام في فرنسا ـ المجلد الاول ـ الشرق واليونان القديمة ـ تاليف اندريه ايمار وجانين اوبوايه ـ ترجمة فريد م. داغر وفؤاد ج. ابو ريحان ـ ٧٢٦ صفحة ـ مع لوحات وخرائط ـ حجم موسوعي ـ مجلد بالقماش ـ منشورات عويدات بيروت ـ مطابع دار الارشاد للطباعــة بيــروت .
- تمثيليات كليلة ودمنة ـ تاليف ابراهيم عز الدين اسماعيل ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي بيروت ومكتبة النهضة ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الدبلوماسية عبر العصور ـ تاليف هارولد نيكولسون ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي بيروت ومكتبة النهضة ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

# جولة الأديب في شهر

## رحلة الابطال

بقلم الدكتور محمد صقر خفاجة

هذه ليست أسطورة من نسج الخيال بل قصة لها أصل تاريخي ابطالها جماعة من شباب اليونان ، ذاع صيتهم في غابر الزمان حين قاموا باول رحلة بحرية في تاريخ الاغريق ، فابحروا من مدينة يولكوس في تساليا ، ومخروا عباب البحر باقدم سفينة صنعوها في بلادهم وسموها « ارجو » . وبعد أن قاسوا الاهوال وتعرضوا للموت بلغوا أرض كولخس على الشاطىء الشرقي للبحر الاسود ، واغتصبوا من ملكها ايليتس الفروة الذهبية ، واحضروها الى يولكوس اطاعة لاوامر بلياس صاحب السلطان ومغتصب العرش والصولجان ...

هذا ملخص القصة رواها ابولونيوس الرودسي الشاعر السكندري ، في « الارجونوتيكا » اشهر ملاحم الادب اليوناني في العصر الهلينستي .

* * *

كان ايسون يحكم ولاية يولكوس ، ثم خرج عليه اخوه بلياس وخلعه عن العرش واغتصب ملكه ، وبعدئذ اصبح ايسون لا يفكر الا في مستقبل طفله الوحيد « ياسون » فقرر ان يعهد به الى المربي العظيم «خيرون» ليهذبه ويربيه وينشئه على الشجاعة والفروسية ، ويثير في صدره كرها عميقا ليثار لابيه ، ومرت الايام وشب الفتى وصمم على العودة الى بلده ليسترد ملك ابيه من بلياس الذي لم يهدأ له بال بعد ان طرد اخاه اذ جاءته نبوءة من الوحي تحذره من « صاحب النعل الواحد » ولم يكن هذا الشخص الا ياسون الذي وجد عند عودته الى يولكوس عجوزا شمطاء فلما اقترب منها وهي قابعة بالقرب من نهر اناوروس طلبت اليه ان يحملها على ظهره ويساعدها على اجتياز هذا السيل الجارف ، فاجابها الى طلبها واخذ بيدها وشق طريقه في الماء وبينما هو يقاوم التيار المتدفق ، فقد احد نعليه ، ثم خرج من النهر سالما وذهب الى يولكوس . وما ان دخل المدينة حتى لفت الانظار فالتف القوم حوله وسألوه من يكون . فاطلعهم على كل شيء وطلب اليهم ان يرشدوه الى قصر بلياس . وهناك قابل الملك المغتصب الذي ارتجف عند رؤيته وادركه الخطر الذي يتهدده ولكن سرعان ما استجمع قواه ورحب بالضيف . فلما عرف انه ياسون ابن اخيه تظاهر بالفرح وتقدم نحوه وعانقه وقال : « تعالى يا بني ! خذ من تريد من بناتي الثلاث وتزوجها لترثني وتحكم من بعدي ! » ورد ياسون في هدوء : « لقد جئت يا عماه لاسترد ملك ابي ، وخير لنا ان نحتكم الى العقل. احتفظ بالثروة كلها فانا لا اريد منها شيئا ولا اطالب الا بعرش ابي». فابتسم عمه ابتسامة صفراء وقال : « لك ما شئت يا بني اذا انجزت هذه المهمة .. ان تعيد الفروة الذهبية الى ارض الوطن ، وتعفي عمك من هذا العبء الثقيل فانت ترى ان شيخوختي تحول بيني وبين القيام بهذا العمل المضني . ووافق الشاب الجريء على مطلبه واقبل على المشروع ليحققه حتى يخلد اسمه ويصبح انشودة في فم الزمن ..

وطلب ياسون الى عمه ان يبعث برسل من لدنه يطوفون بشباب الاغريق ويحثونهم على الاشتراك معه في هذه الرحلة ، وملأت هيرا قلوبهم حماسا ودفعتهم دفعا الى الرحيل مع البطل . فجاءوا اليه من ارجاء اليونان وشرعوا في تقطيع اشجار الصنوبر من جبل بليون وعلمهم ارجوس صناعة السفن فصنعوا سفينتهم وسموها باسمه ثم دشنوا ارجو وارسلوها الى اليم واقلعوا من ميناء افيتاي من تساليا وضربوا في عرض البحر متجهين نحو المشرق . وهكذا بدأت رحلة الارجو..

لقد كانت مغامرة شاقة واجهتهم فيها صعاب وصادفتهم اهوال واعترض سبيلهم عمالقة واشرار ونساء متوحشات ضاريات ، ولكنهم قابلوا ايضا حسناوات رائعات ،وحوريات فاتنات وعرافين صادقين وملوكا اسخياء .

وهذا وصف لبعض الاحداث التي جعلت رحلتهم مضرب الامثال تغنى بها المنشدون وخلدها الشعراء ..

كانت جزيرة لمنوس اول مرفا نزل به هؤلاء الفتيان ليستريحوا من وعثاء الطريق فراعهم ان الجزيرة لايقطنها الا نساء دفعتهن الغيرة الى قتل الرجال جميعا ما عدا ملكهن الذي انقذته ابنته بان وضعته في صندوق وجعلته يطفو فوق سطح الماء حتى حمله الى بر النجاة . ولكن من الغريب ان هؤلاء المتوحشات اكرمن وفادة الابطال وزودنهم بالمؤن وودعنهم بنفس الحفاوة التي استقبلوا بها .

وغادر ياسون ورفاقه الجزيرة ، ودخلوا بحر بربونتس (مرمرة) ثم جنحوا الى شاطئه ونزلوا يتريضون في المروج وعندئذ انصرف هولاس ، صديق هيراكليس يملأ جرته ماء عذبا فوجد ينبوعا صافيا بين الكلأ الاخضر والنبات المزهر ، في وسطه ثلاث حوريات ، زرق العيون .. واقترب الغلام من النبع وانحنى ليملأ اناءه ، فاسرعن اليه وتعلقن بذراعه فسقط بينهن يصرخ ويبكي . فاخذن يلاطفنه ويعبرن له عن اعجابهن بجماله ورغبتهن في الاحتفاظ به ، وهكذا اختفى هولاس الى الابد ، لكن صديقه هيراكليس لم يطق على غيابه صبرا فثارت ثائرته . وانطلق يضرب في ارجاء المنطقة يبحث عن حبيبه ويصيح مناديا « هولاس! هولاس! » والصبي يجيبه من جوف الماء بصوت خافت لا يبلغ مسامعه .. واستبدت بهيراكليس الرغبة والامل في العثور على حبيبه واخذ يزار ويمشي يخبط بين الاشواك المتشابكة كالاسد الضاري الذي ينطلق من عرينه اذا ما سمع صوت ظبي في الجبل .. واحسرتاه على العشاق! كم ذا من الشقاء تحمل هيراكليس . اضناه السير في الجبال ولم يعد يفكر في ياسون ولا في رحلته .

وتاهبت ارجو للرحيل وامتلأت بمن كانوا فيها وانتظروا عودة زميلهم، الذي هب حيث حملته قدماه ودفعته ثورة جنونه واله الحب يمزق فؤاده ..

ووصل الابطال ارض بثونيا التي كان يحكمها الملك اموكوس وهو رجل صلب فظ غليظ القلب، لا يستريح الى الاجانب ولا يرحب بالغرباء الذين يفدون الى مملكته ، بل كان يتحداهم في الملاكمة والمصارعة ويفوز عليهم دائما لانه كان كالعملاق الضخم قوي البنيان مفتول العضلات .. فلما رأى بحارة ارجو ، اغلظ لهم القول وامطرهم وابلا من الشتائم ، وعندئذ انبرى له بولوديوكيس الملاكم اليوناني الخطير والمصارع الذي لا يقهر .. وجعل منه منارا للسخرية واعطاه درسا قاسيا وعلمه كيف يكرم الضيوف الغرباء ..

بعدئذ اتجهت السفينة الى ساحل طراقيا ونزل البحارة ليسألوا العراف فينوس عن مصير رحلتهم ويعرفوا منه شيئا عن الصعوبات التي ستواجههم . فحذرهم من الاخطار التي تحف برحلتهم وعلمهم كيف يتجنبون الارتطام بصخور بلانكتاي عند مدخل بحر يوكسينوس (البحر الاسود) حتى لا يكتب عليهم الهلاك كما كتب على الذين من قبلهم ونصحهم قائلا : « عندما تقربون هذه الصخور ، اطلقوا يمامة وراقبوها ، فان مرت من بينها سالمة اقتفوا اثرها واجتازوا الصخور وسوف تنجون

وتصلون ارض كولخس في امان . اما اذا هلكت اليمامة فعودوا ادراجكم، ولا تفكروا في الحصول على الفروة الذهبية لانكم لن تصلوا اليها ابدا ».

واقلعت السفينة وعمل البحارة بنصيحة العراف الامين عندما اقتربوا من تلك الصخور ، فشقوا طريقهم بينها سالمين ثم اجتازوا البحر الاسود ومروا بارض الامازونيات المحاربات وتجنبوا الاشتباك معهن ، ثم القوا نظرة على جبال القوقاز حيث شاهدوا برومينيوس مكبلا في اغلاله مشدودا الى صخرة عالية بينما ينقض عليه نسر وينهش كبده . لكنهم لم يتوقفوا عن السير وتابعوا رحلتهم حتى وصلوا ارض كولخس. وعندئذ هتف بهم ربان السفينة قائلا : « هلموا لقد بلغنا غايتنا ؟ فهذه قصور ايئتيس وهذه اراضيه ! ولكن يا ترى اين توجد الفروة الذهبية !! وكم من مشقة سنواجه قبل الاستيلاء عليها ؟ » فرد عليه ياسون في جرأة وقال : « لا تخافوا شيئا . فسوف اذهب الى الملك وحدي . وسوف اتحدث اليه في ادب جم فهذا خير من القتال » .

واتجه ياسون مع رفاقه الى قصر الملك فاسرع هذا الى لقائهم ورحب بهم واصدر اوامره باعداد الموائد الفاخرة وبعد ان اكل الابطال وشربوا سألهم من هم ومن اي بلد اتوا ، واجابه ياسون قائلا : « اننا جميعا من نبلاء اليونان جئنا نطلب الفروة الذهبية ، ونعرض عليك خدماتنا مقابل ذلك ، فنحن على اتم استعداد لنقاتل اعداءك ونحمي ديارك » فضاق الملك بكلامه لانه كان لا يحب التدخل في شئونه ومع ذلك فقد كتم غيظه وقال « انني لا اكره الابطال ، وسوف اعطيكم الفروة الذهبية اذا اثبتم شجاعتكم وقمتم بما سبق ان قمت به . فقد استطعت ان اشد الى المحراث ثورين ، اقدامهما من البرنز وانفاسهما من لهيب النار ، وسيطرت عليهما وحرثت حقلا من ارضي وبذرت فيه اسنان تنين كانت تنبت في الحال رجالا مسلحين استأصلتهم فورا حتى لا يستفحل امرهم . هذا عملي الذي قمت به . وما زال الثوران عندي فمن منكم يريد القيام به ؟ لانني لن اعطي الفروة لشخص اقل مني شجاعة » وكان الامتحان رهيبا واجتيازه مستحيلا لانه فوق طاقة البشر ، لذا لزم ياسون الصمت برهة ثم قال : « قبلت المهمة رغم بشاعتها . وسأقوم بها حتى لو كان الموت نصيبي » . وعندئذ تسللت الاميرة ميديا لترى الزائرين فوقع بصرها عليه وفي نفس اللحظة رماها ايروس بسهم اصاب اعماق قلبها فاشتعل فؤادها نارا وذابت روحها اسى وتصبب جبينها عرقا واضطربت اضطرابا شديدا ، فلم تجد بدا من الانسحاب الى غرفتها حتى لايفتضح امرها . ولكنها تابعت البطل بافكارها ، وتخيلته امامها وظلت تتامل جماله وتسترجع الفاظه .. لقد احبته من كل قلبها فكيف تتركه يلقى حتفه وحياتها بدونه ليس لها معنى ؟؟

وقررت ميديا ان تساعد حبيبها بان تعطيه مرهما سحريا اذا مسح به جسمه وقاه من كل شر ، فلا يصيبه شيء في الوجود ، وارسلت ابن عمها الى ياسون يخبره بحبها ويؤكد له انها تخلص له ، ولن تتخلى عنه ابدا ، وانها تريد مقابلته في التو . وطار ياسون فرحا لسماع هذا الخبر وهرع للقائها فلما رأته ميديا خارت قواها وغشى بصرها ، ووقفت جامدة ووقف ياسون امامها وقال : « كيف اصف نبلك وكيف اصور حبي لك ؟ انك املي وحياتي » . فاقتربت منه وهي صامتة ثم اخرجت من صدرها علبة فضية فيها المرهم الواقي واعطتها اليه وكانها تقول : « خذ هذه ، ولك روحي ان طلبتها » ثم شرحت له كيف يستخدم هذا السحر ثم قالت له : « والان يجب ان اعود الى القصر ولعلك تذكرني عندما ترجع سالما الى بلدك لانني سأذكرك دائما».

ومسح البطل جسمه واسلحته بالمرهم فاحس بقوة خارقة تدب فيه جعلته يصمد للثورين كأنه صخرة عاتية تقاوم امواجا جارفة . وامسكهما واحدا بعد الاخر ولوى رأسهما الى ركبته ثم شدهما الى المحراث وسط هتاف الحاضرين الذين اذهلتهم شجاعته .. وقبض ياسون على المحراث وحرث الحقل وانجز ما طلب اليه وهكذا انتصر البطل وحزن الملك ، وبدا هذا يدبر للابطال مؤامرة تمنعهم من اخذ الفروة الذهبية . ولكن ميديا اتخذت قرارا حاسما ، وصممت على ترك الاهل والوطن والرحيل مع الحبيب البطل ولما ارخى الليل سدوله تسللت من القصر وذهبت الى ياسون في السفينة فارتمت عند اقدامه وتوسلت اليه ان يأخذها معه الى بلاد اليونان واخبرته ان يذهب في الحال لاخذ الفروة، وطلبت اليه ان يغادر هذه البلاد فورا حتى لا يتعرض للهلاك . واكدت له انها سوف تسحر الافعى التي تحرس الفروة لتقيه شرها .. وحملها ياسون في السفينة التي اتجهت نحو الدغل المقدس حيث علقت الفروة وهناك توجه ياسون الى الشجرة واخذ الفروة العجيبة ، ثم اسرع الى السفينة واخذ مكانه بين زملائه الذين جلسوا الى مجاذيفهم واتخذوا سبيلهم في البحر عجبا .

ولكن اي طريق سلكوا ؟ وباي ارض نزلوا ؟ فهذه امور ما زالت غامضة ، اختلف فيها الرواة وحار فيها المحدثون اما عن حب ميديا لياسون وزواجها منه وكيف انتهى ، فاليك قصته .

لما عاد البطل الى وطنه اعلن زواجه واصطحب زوجته الى كورينثه ، وهناك اقاما وعاشا عيشة راضية ، وانجبا طفلين وقضيا في هذا البلد عشر سنوات كلها سعادة وهناءة . ثم خان ياسون عهده وغدر بحبيبته فهجرها وتزوج غيرها ، فاصرت على ان تنتقم منه اشد الانتقام ولم لا ؟ لقد احبته من كل قلبها . فمن اجله خانت اهلها وهجرت وطنها . وكانت تعتقد انه سيخلص لها مدى الحياة ولن يتخلى عنها ابدا حتى تنسى الم الاغتراب وعذاب الضمير ، لكنه هجرها وتزوج غيرها فجن جنونها وجلست تفكر في الانتقام منه فصممت على قتل منافستها . وجاءت بثوب جميل وبللته بعطر مميت ، ثم وضعته في صندوق وكلفت ولديها ان يحملاه ويقدماه هدية لزوجة ابيهما ، فذهبا به اليها ، ولما ارتدته اشتعل جسمها نارا واصبحت رمادا في لمح البصر ، ثم فكرت ميديا في مصير ولديها وقررت الا تتركهما لمن يسيء معاملتهما او يمعن في اذلالهما وقالت : « لقد اعطيتهما الحياة وسوف اذيقهما كاس الردى .. اياي والبرود فلاقدم على ذبحهما ولن افكر في حبي لهما بل سانسى انني امهما سانسى ذلك برهة ثم أستسلم للاحزان » وهذه ترجمة لبعض ابيات من مسرحية ميديا الرائعة التي نظمها يوريبيدس العظيم ليصف حبها العميق وانتقامها البغيض .

ميديا : الا ليت صاعقة من السماء تشق رأسي فما فائدة العيش بعد ذلك ؟ ويحي! ويحي! فليطوني الموت ويخلصني من تلك الحياة البغيضة!!

الجوقة : اي زيوس : ايتها الارض ايها النور ! هل سمعتم هذا الصوت الحزين الذي تردده تلك الزوجة البائسة ؟ ايتها الطائشة ! اي حب لزواج هذا الذي يدفعك الى الهلاك ؟ انك تسرعين الى حافة الموت لا تطلبي هذا فاذا كان الفراش الجديد قد سحر زوجك ، فلا تصبي جام غضبك عليه ، ولا تسرفي في البكاء من اجله وسوف يقتص لك زيوس منه .

ميديا : أي زيوس العظيم وانت ياتيمس الجليلة ، اشهدا على ما اعاني من هذا الزوج البغيض بعد ما ارتبط معي باقدس الايمان .. ليتني اراه يوما مع عروسه وقد تمزقت اوصالهما اربا اربا بعد الاساءة التي تجاسرا على الحاقها بي ، يا ابتاه ، يا وطناه الذي هجرته بعد أن ذبحت اخي .

يا للعار ، واي عار !

لقد اصبحت وحيدة، لا وطن لي، اهانني زوجي بعد ان اختطفني من بلد غريب فليس لي الان ام ولا اخ ولا اقارب اقيم بينهم لابعد عن مصائبي .

ياسون : كثيرا ما ادركت ان الغضب الشديد شر مستطير . لقد كان بوسعك ان تقيمي في هذه البلاد وتسكني في هذا القصر لو استجبت عن طيب خاطر ، لرغبات السادة اصحاب النفوذ هنا . لكنك ستطردين من هذه الارض نتيجة لتهورك في الظلام الذي لا اكترث له ابدا فيمكنك ان تقولي دائما ان ياسون احسن الناس . ولكن اعتبري نفسك سعيدة

الحظ اذا اكتفى الملك بنفيك عقابا لما صدر منك ضد اسرته . ولقد بذلت قصارى جهدي لاخفف من حدة غضبه ، رغبة مني في بقائك هنا . لكن حماقتك لم تنته عند حد ، فلم تكفي عن سب الحاكم ، فحق عليك النفي من هذه الديار ، ومع ذلك فاني لا اتخلى عن اصدقائي في هذه اللحظة نفسها ، و هاانذا جئت الان لاهتمامي بمصيرك ، ايتها المرأة ، فانا لا اريد ان تطردي مع ولدينا وانت في حاجة الى مال او عون . فالنفي يجر كثيرا من الويلات فاذا كنت تكرهينني فلن اريد منك سوءا ..

ميديا : ايها الوغد الخسيس ! فانا لا اجد اقذع من الشتائم اصم بها جبينك ها انت ذا تاتي الي بابغض الناس الى نفسي والى الالهة والى الخلق اجمعين ليس من الاقدام ولا من الشجاعة ان تواجه اصدقاءك بعد ان اهنتهم . اما الوقاحة فهي ابشع الرذائل الانسانية . ومع ذلك فخيرا فعلت بمجيئك لانني اروح عن نفسي عندما اؤذيك بالشتائم

أي زيوس ! لماذا جعلت للناس علامات واضحة يتعرفون بها على الذهب الخالص من الزائف ولم تدمغ الرجل الفاسد بعلامة تميزه ؟

(ثم تدخل ميديا القصر بعد أن صممت على قتل ولديها )

الجوقة : يا ارض اشهدي ! ويا اشعة الشمس المتوهجة ، انظري الى هذه المراة القاتلة قبل ان تذيق ولديها الردى وتذبحهما ، اذهب اذن ، ايها النور ، اذهب واكبح جماح هذ النفس الطائشة واكتب الحياة لولديها ، واطرد من القصر روح الغضب التي ايقظتها الهة الشر .

الولدان : ( داخل القصر ) آه

رئيس الجوقة : اتسمع صراخ الغلامين ؟ اتسمع ! يا لك من امرأة بائسة شقية .

احد الغلامين : (من الداخل) ويحي ؟ ما العمل ؟ الى اين اهرب من يد امي ؟

الغلام الثاني : (من الداخل) لا ادري يا شقيقي العزيز ! اننا حتما من الهالكين .

رئيس الجوقة : يا لك من مسكينة تعسة هل قد قلبك من صخر ام حديد حتى تقتلي ولديك ، ثمرة احشائك وفلذة كبدك!

القاهرة ـ ( الاهرام ) محمد صقر خفاجه

## حضارة كاملة دفنت تحت الانقاض

تحولت مدينة سكوبية اليوغوسلافية في ٢٦ تموز (يوليو) الماضي الى ركام رهيب من الخرائب ، وبات ٢٠٠ الف نسمة من سكانها بلا مأوى. كما اتى الزلزال على حياة ٢٠٠٠ نسمة، في الساعة التي كانت تطل فيها شمس نهار جديد من تموز . انها مدينة حديثة انقطعت عن الحياة ، مدينة كانت اغنيات مقدونيا التي ينشدها الشبان والشابات ، تملأ شوارعها العريضة وارصفتها القائمة على ضفاف الفردار . ولا بد من بذل كثير وكثير من الجهود والتضحيات لاعادة الحياة الى مدينة ميتة وارجاعها الى مرتبتها كمدينة ثالثة في يوغوسلافيا .

هذا وسوف يبقى قسم كبير من سكوبية غير قابل للحياة : قسم لن تعرفه الاجيال المقبلة الا من خلال كتابات المؤرخين الذين شهدوا الكارثة. هذا الجزء هو سكوبية القديمة ، « سكوبية المتحف » ، سكوبية القائمة على ضفة الفردار الشمالية بازقتها الملتوية ، وبلاطها ، وحوانيتها التركية، وصائغيها ومنازلها الصغيرة ذات الهندسة الخاصة . هذه المدينة القديمة التي قاومت عوامل الطبيعة على مدى اجيال بعيدة ، لم تقدر هذه المرة على الصمود . ان كثيرا من الاثار التاريخية والثقافية التي كانت تشكل ثروة وطنية ذات قيمة كبرى ، تحولت الى ركام من الخراب .

وتحت انقاض متحف الاثار القديمة ، انطمرت كثير من التنقيبات التي تعود الى ما قبل التاريخ ووثائق تعود الى القرون الوسطى ، ومجموعات ادبية ذات طابع خاص ، ومختبر لحفظ الاثار وعدد كبير من اللوحات الجدرانية . مع العلم بان بناء المتحف التاريخي الذي كان يحتوى على ثروة من الوثائق التي تعود الى ايام ثورة الشعب المقدوني الوطنية ، قد تهدم برمته وطمر تحت انقاضه العديد من اللوحات الزيتية، والمنحوتات والمختبرات والرسوم وغيرها ، نخص بالذكر المنحوتة التي تمثل « جارية تيتوف » الشهيرة والتي تعود الى الالف الثالث قبل المسيح ، والتي تحطمت بالرغم من وجودها داخل صندوق حديدي ، وأيقونة القديس يوحنا التي تعود الى القرن الثالث عشر والتي قدرت قيمتها ١٨٠ الف دولار .

كذلك قلعة ـ كال ـ التي كانت تقوم منذ اجيال على ضفة الفردار الشمالية وتضفي على المدينة جمالا قد سقطت برمتها . مع الاشارة الى ان الخطر الذي لا يزال يهدد ، حسب رأي الجيولوجيين ، هذا الجزء من المدينة ، قد يذهب بما تبقى من القلعة ، في حال انزلاق التربة ، ويجرف معه بقايا متحف الاثار القديمة وبقايا بناء معهد صيانة الاثار التاريخية والثقافية .

وبالمثل لم ينج من الدمار خان كورشوملي القديم . وبانهيار هذا البناء اندثرت قيم ثقافية وتاريخية وهندسية وكثير من قطع الاثار القديمة التي كان هذا البناء يزخر بها بالاضافة الى مجموعة قيمة من الحجارة الكريمة .

اما المكتبة الوطنية والجامعية التي تشتمل على ٤٥٠ الف مؤلف ومجلة وصحيفة فقد انهارت ايضا . مع العلم بان هاتين المكتبتين كانتا تشتملان على قاعات وغرف عديدة مفروشة باحدث الاثاث .

هذا ولم يسلم من الزلزال مبنى دار الاذاعة والتلفيزيون بالرغم من حداثة بنائه ومتانته . مع الاشارة الى ان حركة المسرح والاوبرا والباليه والمسرح الوطني سوف تتوقف لفترة من الزمن نظرا للعطل الذي مني به بناء المسرح .

كذلك الابنية التي تعود الى العهد التركي ـ كخان سولي خان وديو لسيلر خان وجوامع ـ كاتدرائيات ـ السلطان مورا ومصطفى باشا ، وحمام دوت باشا التركي وتربة غازي بابا قد تهدمت او تعطلت بصورة بالغة، بالرغم من ان هذه الاثار كانت تلفت نظر الكثيرين من السائحين الاجانب الذين كانوا يزورون المدينه .

ومن بين الابنية التي انهارت او تعطلت دور السينما والمنشآت السينمائية « مقدونيا فيلم » ومعهد الافلام الثقافية والتربوية وغيرها من المعاهد المماثلة . هذا ولا تزال مطمورة حتى الان نسخ عشرة افلام من القياس الطويل و ١٦٧ من القياس القصير ـ من انتاج فاردار فيلم بالاضافة الى الات التصوير .

ان سكان سكوبية ومجموعة شعب مقدونيا ياسفون على ما منيت به جامعة سكوبية من خسائر . فهذه الجامعة التي انشئت بعد الحرب سرعان ما احتلت المركز الثالث بعد جامعة بلغراد وجامعة زغرب . مع الاشارة الى انها كانت تضم ١٦،٠٠٠ طالب ، و ٧ معاهد و ٨٠ مؤسسة ومختبر للاعمال التطبيقية والابحاث العلمية . جميع هذه الابنية اصبحت اليوم خرابا ، بينما تهدم ايضا ما يقارب ٨٠ او ٩٠ ٪ من مجموع الابنية المعدة للجامعات ولم يعد من المختبرات والمعاهد واجهزتها الا الذكرى .

اضف الى هذا بان المعهد الصوتي للغة المقدونية قد فقد جميع التسجيلات والمواد اللغوية التي تعود الى الخمسين سنة الاخيرة ، وان مجموعة من الاغراس المقدونية التي يملكها معهد المياه والاحراج قد اندثرت بكاملها . كذلك ذهب الزلزال بحياة عدد كبير من اساتذة جامعة سكوبية ومعاونيهم .

اما الخسائر في هذا الميدان فتقدر استنادا الى الاحصاءات الرسمية التي اجريت حتى الان ب ٣٠ مؤسسة ثقافية ، بينها المراكز الثقافية والابنية الخاصة بمجموعات الغناء والرقص الشعبي المقدوني والاوركسترا فيلارمونيك، ووكالة حفلات موسيقى الجمهورية ، ومسرح الاقليات الوطنية ، ومسرح الاطفال والشبان ودور النشر « كولتورا » و « بروسفتنو ديلو » . في الواقع ان زلزال سكوبية قد هدم الاساس المادي لثقافة كانت في بداية عهد انطلاقها .